أكثر الروايات
مبيعاً في العالم

ألفريد هيتشكوك

زوجة الشيطان



العالمية للكتب والنشر



زوجة الشيطان

روائع ألفريد هتشكوك

إعداد

خليل حنا تادرس

الناشر

العالمية للكتب والنشر

زوجة الشيطان

ألفريد هتشكوك

رقم الإيداع / 14382 - 2006

الترقيم الدولى 4 - 81 - 6189 - 977

الناشر: العالمية للكتب والنشر

المدير المسئول : سعيد عثمان

——————— * ———————

الجيزة 15 الفاروق عمر بن الخطاب ـ الطالبية ـ فيصل

جمهورية مصر العربية

ت/ 3595973 (012)

زوجة الشيطان

زوجة الشيطان

فى نهاية سنة ١٩٣٤ سلطت أضواء الموسم القضائى على قصر العدل في مدينة 'فان' .

وكان لذلك سبب ؛ فقد كانت المحكمة منعقدة لمحاكمة نوع من الشياطين ، وهذا الشيطان كان ابن النائب العام .

كانت المحاكمة تتعلق بأحد الفاسدين وقد قتل زوجته بطلقات من بندقية الصيد في بيتها في لوك - آن - جيدل .

ثم أن الآلام السادية التى مورست على الزوجة الصبية أثناء شهر عسل رهيب كانت تحمل إلى هذه المأساة العذبة مزيدا من الإثارة المريضة القاسية .

وتلقت المحكمة ثلاثة آلاف طلب لحضور المحاكمة ، من التجار الكبار ومن صغار النبلاء فى مقاطعة بريتانيا . مع أن القاعة ذات الحيطان المغطاة بالحرير الأزرق لم تكن تتسع لأكثر من ثلاثمائة شخص .

فعلى أية طلبات كان يجب أن يجيب رئيس المحكمة ؟ أعلى تلك التي وردت من المدينة حيث ظل والد المتهم خلال ربع قرن تارة قاضي تحقيق وطورا رئيس محكمة ؟ أم على طلبات أهل "فان" الذين كانوا يعتبرون أن من حقهم أن تؤخذ طلباتهم بين الاعتبار ما دامت ستجرى في بلدتهم محاكمة الجريمة المتانية عن زواج عسير تم بين شخصين مشوهين ؟

* * *

لقد تم كل شيء بسبب إعلانين نشرا تقريبا معا في جريدة "الصياد الفرنسي" .

"فتاة من عائلة ثرية جدا ، ذات مهر كبير تطلب الزواج من فتى جاد ، ذي مركز ، أو يملك بعض الأراضي " .

"شاب ابن عائلة جيدة : جاد ، يحب العمل ، يملك بعض الثروة يرغب في الزواج من فتاة لتعيش معه في الريف" .

وكانت الفتاة قروية ، والحق أنها كانت تملك مهرا كبيرا إلا أن تفاهتها ؛ وتشوهها ؛ مما كانا لا يدلان قط على أنها مؤهلة لزواج لامع .

فقد أصيبت يوم كانت في الرابعة من عمرها ، بينما كانت تلعب في ساحة مزرعة والدها ، فاصطدم رأسها برحى ثقيلة ، وسبب لها الكسر في جمجمتها شللا في الجزء الأيمن ، ولم تعد تستطع تحريك ذراعها إلا بكل صعوبة ؛ كما غدا نطقها عسيرا ، وكان هذا الأمر يزيد الطين بلة .

وقد تميزت طفولتها فوق ذلك بنوع من الحزن العميق الخفي ، لعل سببه ذلك الحادث المؤسف ، وقد كبرت والكآبة معها ، وليس لها من رفيقة غير أختها التي تصغرها بسنتين . ولم يكن من عالم غير أعمالها في الحقل ؛ والعناية بالمزرعة .

ثم ؛ وفجأة ، أبدت الفتاة رغبتها في الزواج . وكان الأب من هذا الرأى ، فقد بلغت جورجيت عامها التاسع عشر . وهي سن موافقة ليكون لها زوج ، فوق أن لها مهرا . إلا أن الأب لم يشترط إلا شرطا واحدا . أن يدفع زوج المستقبل هو نفسه شيئا في صندوق الزواج ، فإذا ما نفذ هذا الشرط فهو لن يرفض من يتقدم كائناً من كان وسواء أتي من الريف أو من المدينة .

وانتظرت جورجيت وتأملت خيرا ، وضاعفت من صلواتها إلى القديسة تيريز . لكن عبثا .

وذات مساء ؛ وفيما كانت في " الحظيرة " ترمي الحب للطيور ، خطرت ببالها فكرة . فعادت وأخرجت من الخزانة دواة وريشة ؛ وكتبت بعناية الإعلان الذي نشرته في "الصياد الفرنسي"

وبهرتها إحدى الأجوبة التي تلقتها ، لقد استجابت القديسة تيريز لطلبها . كانت الرسالة التي تلقتها آتية من ابن أحد القضاة . وتبادلا بعض الرسائل وفي ٩ يوليو ١٩٣٣ وهو يوم عيد في نوايبون ؛ زار ميشال المزرعة لأول مرة ، وقدم نفسه إلى جورجيت .

وبالكاد تجرأت سندريلا على النظر إلى الأمير الفتان ليس لأنه كان جميلا ؛ فقد كان وجه ميشال يبعث على الاستغراب . كان له وجه عصفور ، وذقن مطبوعة ، وعينان زرقاوان وأذنان كبيرتان واسعتان .

كما كانت له طريقة عجيبة في الضحك وكان يفرك يديه بعينيه كلما نظر إلى القروية ، وما كان يستقر في مكان ، وكان لديه الكثير مما يريد أن يقوله إلى حد أنه كان يضيع خط أفكاره .

لكن أليس الأهم أنه تقدم للزواج من الفتاة المشوهة ؟ فهو لم يبد أي تردد . كانت جورجيت في نظرة غاية ما يطلب وكان مهرها مناسبا . أما هو فهذا ما كان يمكن أن يقدمه : ٤٠ ألفا عدا

ونقدا و٣٠٠ ألف مودعة لدى مسجل عقود فى بون سيكر ، وأخيرا مزرعة تربية الثعالب الفضية التى أنشأها فى أرض لولا ـ آن ـ جيدل على شاطئ المحيط ، والتى يبلغ ثمنها حوالى ستين ألفا .

وبدا الفتى متلهفا على عقد الاتفاق وإذا كان لم يوفق بالزواج فى مسقط رأسه بريتانيا ، فما ذلك لأسباب تحمل شرفه معرضا لأى ثلب فهو كاثوليكى مؤمن إلا أنه لا يذهب إلى الكنيسة ؛ والفتيات هناك لا يحببن الزواج إلا ممن ينعتون بورع نموذجى .

وظل ميشال فى نوايون طوال يومين وفى الأسبوع التالى ذهبت جورجيت وأمها إلى لوريان . وهناك ؛ وتحت إشراف أم ميشال زرنا أرض المزرعة ؛ وتنسما الروائح الطيبة ، وشعرنا بعصف الريح ؛ ورأينا الثعالب الفضية فى أقفاصها ؛ ثم عدنا إلى نوايون .

ولم يعلق بذاكرة الفتاة من هذه الزيارة القصيرة إلى الأرض البريتانية حيث تستقر حياتها ؛ لم يعلق الشئ الكثير اللهم إلا أن المعلومات التى جمعتها من الكهنة فى المنطقة كانت جيدة .

وكانت فترة الخطبة قصيرة . وعاد ميشال إلى توابون وكان يتخلل جموحه وثرثراته فترات صمت طويل ؛ وبالإضافة إلى ذلك كانت هناك طريقته المقلقة التى ينظر بها إلى جورجيت . وبكلمة

فان هذا البرجوازى لم يصعب هؤلاء المزارعين البيكارديين . غير أنه كان ابن عائلة ، كان هناك أبوه الذى شغل مناصب عالية فى القضاء لقد كان فى نظر جورجيت ضربة الحظ غير المتوقعة .

وأسرعوا فى إجراء الشكليات وخلعت جورجيت قبقابها . وارتدت زوجا من الأحذية المصنوعة من الساتار ؛ وركزت على شعرها شال العذرية وراحت نواقيس الكاتدرائية تدق بكل قوتها على شرف هذا الزواج الذى كان يشبه إلى حد ما قصص الجنيات ؛ والذى كانت غرابته تجعل منه سرا لم يستطع الكثيرون من أهل المدينة فهمه .

وانتهى الاحتفال ، انتقل موكب الزوجين إلى حيث كان والد الفتاة ؛ المتضايق من بدلته الجديدة ؛ قد جمع المدعوين . وكان حوله كثيرون من الأقارب ، والأعمام والعمات ؛ وأبناء العم ؛ والفلاحين الشجعان ممن كانوا لا يجرأون على الاقتراب من زوج جورجيت هذا البورجوازى الشاب الذى كان يتحدث بسهولة وسط المجموعة التى كانت تتألف منها الفئة الأخرى : قضاه وتجار كبار ورجال صناعة .

وكانت العروس تتذوق سعادتها بصمت بينما كان الناس

يزدحمون حول المائدة الطويلة التى وضع عليها طعام العرس . لقد عاشت دائما في هذه المزرعة العتيقة المدخنة . لكنها هذه الليلة بالذات ستهجرها إلى عالم آخر .

* * *

حدث هذا في ١٠ ديسمبر التالية ؛ ٨ أبريل من السنة التالية ؛ تلقى أبو جورجيت برقية أولى تقول :

" جورجيت ضحية حادثة خطرة ، في غياب ميشال نحن محزونون جدا . قلوبنا معكم " .

ثم وردت برقيتان أخريان مرسلتان من بلوثمير ، وصلتا اليوم التالى :

ننتظركم . رجيت دون ألم . ننتظركم . لقد زلزلتنا الفاجعة ."

" لقد هوجمت جورجيت في وضح النهار بسلاح نارى من قبل أحد المتسكعين ، أثناء غياب ميشال . ألمنا لا حدود له . كانت رغبة جورجيت أن تدفن في نوايون . تلفنوا إلى بيديل إذا أردتم المجئ"

وكانت البرقيات الثلاث موقعة من النائب العام .

وراح الأب يفتل شاربه الغليظ ، وظلت الأم صامته ، وذهبت ماري الأخت الصغرى للميتة ؛ ترش الحب للحيوانات ، وعيناها محمرتان من الدموع . ترى ماذا كان في وسعهم أن يفعلوا بإزاء هذا القضاء المحتوم ، غير المفهوم ؟

لم تعد جورجيت إلى مزرعة نوايون منذ زواجها إلا مرة واحدة . أما زوجها فلم يعد مطلقا . ومع ذلك فان جورجيت لم تنس أهلها . فقد كانت الفلاحة الفتية تكتب من بريتانيا إلى أختها ، وكأنها تكتب من منفي بعيد ، وقد أرسلت لها رسائل عدة .

كانت الفتاة تكتب بيدها اليسرى وبكلمات ساذجة عن خيبتها الأولى في حياتها الجديدة ؛ وعن عذاباتها وأحزانها الأولى . كانت تلك التي تريد أن تهرب من حياة خالية من الفرج ؛ تعترف ، بهدوء في البداية ، ثم بكثير من الصراحة فيما بعد ؛ تعترف بأنها شقية . كان زوجها الجامح الشيطاني يرعبها .

وبإعادة قراءة هذه الرسائل يمكن أن نسلك المنعطف الرهيب إلى الجلجلة الذي سلكته المشوهة الصغيرة .

'عزيزتي الصغيرة ماري :

'تصوري أن ميشال هو شرير كبير وتأملي أنه ذهب اليوم إلى

حد ضربى . لقد ضربنى ؛ وبعد أن ضربنى جيدا ، تقدم نحوى وانفجر بالضحك . كان يريد أن يقبلنى : أن ينزع ثوبى ، لكننى هربت منه ورحت أدور حول الطاولة . لقد قال لى أنه سيضربنى فى المرة القادمة بسوط كلب . إنه يخيفنى أحيانا . ."

وبعد قليل :

إننى حقا لا أعرف ما بال ميشال . إنه يريد أن يضربنى بكل قواه . ويقول لى أن " لوك - آن - جيديل " مكان مختار جيدا ، وأن فى وسعى أن أصرخ ، وأستغيث ما شئت ، فلن يسمعنى أحد . وأنا لا أصرخ ، لكننى جد تعيسة تأملى ، لقد أراد أن يشعل فى سريرى وأنا نائمة ؛ وليس أنه لا يحب أن يؤذى سواى ، فهو يؤذى الحيوانات أيضا . الريح تعصف دائما بقوة"

وفى رسالة ثالثة :

يحب ميشال أن يضربنى . وعندما رأى أن جسدى مملوء بالكدمات الزرق قال لى : تستطيعين بهذه البقع الزرق أن تطلبى الطلاق . وأجبته أني أعرف ماذا أفعل عندما أريد ذلك . . وأراد ثانية أن يقبلنى فى كل مكان من جسدى . وأنا لا أريد هذه الملاطفات . ولكنه لا يريد أن يقوم بأي شئ آخر مطلقا " .

وفى رسالة رابعة :

" لقد عاد وضربني . سيقتلنى ذات يوم ببندقيته ؛ لقد قال لى ذلك أمس أثناء السهرة بعد أن تشاجرنا . لقد أصعدنى على السرير ، ونزع عنى ثوبى وسروالى ؛ وجواربى ؛ وحذائى . وعندما أصبحت عارية تماما ، راح يضربنى من جديد . كان يضحك ، واضطررت لأن أبقى كما أنا . يقول لى دائما أنه سيقتلنى ."

وأخيرا فى رسالة خامسة :

" إنه متوحش تماما . لم يكفه أن يضربني . تصورى أنه أحرق أمس ذنب القطة بواسطة شعلة . إنه لما يقتلنى بعد ، ما دمت أكتب لك "

هذه الرسالة التى تحمل كل منها الصدى المتوجع للمأساة التى انطوت عليها أرض بريتانيا : كانت الصغيرة مارى تقرؤها على أهلها أغلب الأحيان ؛ وقلبها منقبض .

وكان الأب يهز رأسه هزة شك :

ـ ربما كانت مبالغة ؛ إننا نعرف أنه تحدث دائما بعد انقضاء

شهر العسل ؛ بعض المشاجرات بين الزوجين . وبعد فهي التي أرادت هذا الزواج ولم يجبرها أحد عليه . وليس أمامها إلا أن تظل في المزرعة .

ومرت الأيام ولم يفكر أحد في نوايون سلوك الدرب الطويلة إلى " لوك ـ آن ـ جيدل " لرؤية تلك التي كانت كل رسائلها ، وبلهجة متزايدة الأسى ، كما تعبر عن خوفها من أن تموت ميتة مفجعة . فقد كانت الأرض تتطلب عناية أكثر إلحاحا من ذلك .

و فجأة وفي أعقاب رسالة أخيرة كانت المشوهة الصغيرة تبوح فيها بأن زوجها هددها من جديد بأنه سيتخلص منها بواسطة البندقية (لأنه بذلك سيكون أكثر وثوقا من النتيجة) جاءت البرقيات الثلاث لقد قتلت جورجيت . جريمة ارتكبها أحد المتسكعين ، هذا ما أكده النائب العام في برقيته الأخيرة .

ـ وإذا كان ؟ . .

هكذا تساءل الأب والأم بنظراتهما . وقطعت الصغيرة ماري التي كانت موضع سر الميتة ، قطعت صمت أهلها ؛ ورفعت صوتها :

ـ إذا كان هو ؟ إني واثقة أنه هو ، ميشال من الذي قتلها لقد كانت جورجيت خائفة جدا . .

قال الأب :

صحيح أن هذا الغلام لم يكن يعجبني مطلقا . الشيطان هو حتما من أرسله إلينا لينتزع منا ابنتنا . كان متعجلا الزواج منها . يا للبشاعة ، كان طامعا في مالنا ، وقد ناله ، فلماذا قتلها إذا كان هو الذى قتلها ؟

ولم تخطىء الصغيرة مارى . وهم أيضا لم ينخدعوا هناك فى بريتانيا عندما انتشرت بعد أيام من الجريمة أنباء مقتل الزوجة بشكل وحشى عبر المزارع المعلقة على الجزر ؛ ذاك أنه لم تكن ترتفع غير صيحة واحدة :

ـ المجنون هو الذى قتلها .

وكان حدس الشرطة والدرك مطابقا أيضا لحدس هؤلاء وكانت إمارات ثلاث تدعم تخميناتهم : وثيقة التأمين ضد الحوادث الذى أجراه الزوج قبل شهر من الجريمة (تأمين قيمته ٨٠٠ ألف) وسلاح الجريمة ؛ وأخيرا هذه الآثار الدموية التى كانت تتجه فى بيت الضحية من غرفة التليفون إلى غرفة نوم الزوجين وكانت جوارب الميتة وحذاؤها فى مكانيهما ، ولا شك أن المسكينة جرت من قدميها طريقة غريبة لنقل امرأة ميتة .

ومع أن هذه الدلائل ظلت مجهولة أثناء التحقيق فى أيامه الأولى ، فإن سكان المزارع الذين كانوا يهتمون بالمأساة شعروا غريزيا بالمجنون الخطر فى " لوك - آن - جيدل"

وعـاد إلى ذاكرتهم كثير من الذكريات السيئة بسبب الجريمة الجديدة .

عـاد إلـي ذاكرتهم ذلك الغلام المريض والذى جاء مؤخرا إلى الأرض وكان يحب أن ينفرد فى الغابات .

لقد كان فى الثامنة عندما طلب من أهله بندقية . وخضعت أمه لطلبه ومنذ ذلك الحين لم يعد فلوسه ببنادق الصيد وبالحيوانات ليتخلى عنها .

وكان، كمأخوذ حتى الجنون بالعنف ؛ يطارد عبر الممرات وشواطىء الرمل كل ما يقع على مرمى بندقيته . وغدت الكلاب والقطط ؛ والقنافد متنفسا لآلامه . وكان يحمل معه إلى المدرسة العصافير التى كان ينتزعها من أعشاشها أثناء طريقه . وكان يخنقها بهدوء بين أصابعه .

وبالمقابل ، فإنه لم يكن يستطيع أن يثار من رفاقه الذين كانوا يسخرون من قصر قامته المضحك ؛ وكان يتحمل كل شيء منهم

بصبر وخنوع ولم يكن الدرس ليعنيه فى شىء . ولم يحب غير الصيد .

عندما شفى من داء الصرع إثر أزمات عصبيه كانت تنتابه عاد إلى حياة الفراغ والقسوة ؛ بعد الحيوانات التى يربيها ويرهب الخدم عند أهله . (كان هؤلاء يلقبونه نظرا لوجهه الرقيق " النمس") بيد أن أمه استمرت فى حب ابنها الشاذ العنيف . لكن الأب القاضى الذى لا يعرف رحمة فى مهامه القضائية ، كان يفقد كل حزمه فى البيت .

ورغم ذلك فقد أحس ذات يوم أن شفقته على ابنه قد أرهقت ؛ فقرر إرسال هذا الابن العاطل عن العمل والمزعج إلى مركز زراعى ليدرس فيه طرق تربية الحيوانات ؛ وذلك حفاظا على هيبة ثوبه القضائى . ومكث ميشال فى المركز ثلاثة أشهر . وظلت أسباب مغادرته المركز مجهولة .

وبدأ اليأس يتسرب إلى نفس القاضى عندما وقع تحت عينه إعلان يعد بثروة سريعة لأولئك الذين ينصرفون إلى تربية الثعلب الفضى . وكان كل ما يطلب ممن يعتزمون ذلك ، أن يذهبوا للتدريب على طريقة التربية فى " الموت سيليزى" .

وبدا ميشيل مفتونا بالأمر فأرسله والده الذى سعد كثيرا إذ رآه قد صمم أخيرا على امتهان مهنة مهندس ؛ أرسله إلى ألمانيا . وفى مطلع عام ١٦٣٣ عاد التلميذ المربى على لوريان ومعه شهادة تمتدحه ، وقفص كبير للثعالب الفضية .

وكان لابد من أرض كبيرة لتربية هذه الحيوانات اللطيفة والحصول على نتائج حسنه . ولذا اشترى النائب العام لابنه حصن لوك ويقع على شاطىء يولدى المهجور .

وابتدأت هنا حياة جديدة . وكان ميشال يذهب إلى الصيد والقنص فى الشاطىء الرملى . ليؤمن طعاما لثعالبه الأربعة عشر . لكن هذا التمرين لم يكن ليفيد إليه هدوء بل كان يشعل فيه غرائز القسوة . فكان يقتل الجراد وكل ما يصادفه من زواحف وحيوانات صغيرة ، ويخنقها ؛ وكان غضبه المدمر يمتد حتى الغابات في (جيدل) والسواقى فى (لايتا) .

وكان درك 'بلومير' يعرفون جيدا من هو الذى يعفر السواقى بمادة الاستيتيلين ؛ وينصب الدبق فى الكثبان ، ترى أكانوا يستطيعون أن يتصرفوا ضد ابن الرجل الذى يحتل منصب النيابة العامة ؟ .

واستمر على ذلك حتى اليوم الذى شعر فيه أن الوحدة تثقل عليه . ثم خطر بباله أنه يخرج من دائرة العزلة التى كان يحيا فيها . ولكن من سيقبل به زوجا فى هذه المنطقة هو الذى كان يحيا حياة تبعث على القلق ، والذى كانت حتى أبسط الفتيات يرفضنه؟ ونصحه أبوه بأن ينشر إعلان زواج فى إحدى الصحف ، فلن يعدم وجود فتيات شجاعات يحببن هن أيضا الصيد والقنص ، والحيوانات والبحر .

وهكذا تمت حلقات المأساة التى جمعت فتى فاسدا إلى فتاة مشوهه .

قال الكاهن الذى استشير فى الأمر ؛ قال بعد مدة :

ـ لقد فكرت بأن اتحاد هذا الفتى المتوحش بفتاه ريفية بسيطة آتية من منطقة أخرى ؛ قد يكون ذا تأثير حسن فى طبيعته .

وقد قضى الزوجان ليلة الزواج الأولى فى أحد فنادق باريس ومرت دون أن يمارسا الحب .

وقد كتبت جورجيت فى مذكرتها :

أراد زوجى أن يسكرنى . وقد كلفه ذلك غاليا ؛ مائة فرنك ؛

كان يقدم لى نبيذا حلوا فيه سكر ؛ وهو يقول لى أن لا خطر إطلاقا من شربه . لكننى لم أصدق ذلك كثيرا . وشربت ؛ وعدنا إلى الفندق ونمنا وكان ميشال مسرورا، وقال لى إنه سيهديني آلة تصوير ؛ وكنت انتظر منه شيئا أفضل في ليلة عرسى ' .

لقد خاب أمل المشوهة الشابة . المجنون يسحر . وحين حل اليوم التالى ، وصل زوجا الشيطان إلى الحصن القابع في ' اللاند' . وكان الديكور يبعث على الأسى : الريح تعصف بغضب . والليل مكتنف بظلال جنائزية والسماء بلا نجوم، والبحر قاتم .

ما كان أكبرها خيبة أمل بالنسبة لتلك التى غادرت الأرض البيكاردية ، حيث تمر الأيام رتيبة فى أعمال الحقل ، تلك الفلاحة الصغيرة المنفية والتى خضعت للتصرف الفريد لهذا الزوج الذى لا يدنو منها إلا ليقرصها أو يجزها حتى يدميها .

كانت حينما نقلت طرفها خارج هذا المنزل الأسود الجدران ، رأت الأرض مغشاة بالظلام . ولم يكن شىء يضىء الأفق إلا ضوء منارة ' كروا' ومنارة 'بنمن' حين يهبط الليل . كان أقرب بيت وأقرب إنسان حى على كيلو متر من المكان . ولا جدوى من الصراخ . وصوت الريح الأصم يخنق كل صوت ويحمل معه

الأسرار .

ومع ذلك فلا شيء إلا وينتهي بأن يغدو معلوما على هذه الأرض .

كانت عجائز اللاند كلهن يفكرن التفكير نفسه وهن يحركن رؤوسهن :

ـ أجل أيتها النساء الشيطان زوجهما .

وكانت كرعا هريقلن وهن يرسمن علامة الصليب .

ـ فليرحم المسيح نفسيهما .

كتبت جورجيت بعد الزواج بأسبوعين :

ـ إنني مريضة . لقد ذهب ميشال يتفقد ثعالبه . وقد قتل غرابين .

الريح تعصف بشدة . أحس بالبرد . ميشال يناديني : "يا قديسة جورجيت . أيتها المرأة المتزوجة والشهيدة " . كان الأجدر به لو عاشر خليلة . فعندما ينتهي منها سيطردها" .

وبعد ذلك بعشرة أيام :

'لقد عثر على رسالة كتبتها لأختى . خفت منه ، واختبأت فى قعر مغارة . ووجدنى هناك . فسحق أصداما على وجهى . ووضع رملا فى فمى . وهو يقول : أتخشين أن أطلق عليك النار ؟ وكان يلوى راحتى حتى لا أتمكن من الحركة . إن له قوة حصان ؛ عندما يريد ذلك . . . . '.

وكانت جورجيت أثناء الليل ، تفكر والذعر يأكلها ، تفكر أن حلمها الجميل تبدد . ووعدها ميشال أخيرا بأنهما سيغادران الحصن . واستقر الزوجان فى ١٠مارس ١٩٣٤فى جناح ذى جدران صفراء وقرميد أحمر غطيت مصاريف بنائه بنقود المهر . لكن الحياة الجحيمية استمرت . والمعلومات التى تلتقط من هنا وهناك كانت تغذى الأسطورة التى راحت تحيط بهذا البيت اللعين .

لقد لاحظ ساعى البريد والمردون آثار طلقات فى الجدران . وآثار ضرب على جسد المرأة العليلة . بل إنهم فاجأوا مجنون اللاند ذات يوم وهو يمزق ثياب امرأته ؛ ويعريها، ويجلدها ويطاردها بين الصخور وهو يرميها بحجارة .

وكانت الزوجة تردد فى رسائلها إلى أختها دون انقطاع قولها : ' إنى خائفة ' .

وتظل صرخات اليأس دون جواب ' ويبدوا أن النائب العام وزوجته كانا يجهلان كل شيء بسبب بعدهما ـ وكان أهالى اللاند وحدهم يخشون وقوع الدراما الرهيبة : إنهم يعرفون أن ميشال يعانى متاعب مالية ، وإنه اضطر بعد أن هدد بالإفلاس : أن يستدين أموالا من أحد مسجلى العقود، فالثعالب المفضضة وتربيتها تكلف غاليا ؛ وهى لم تبدأ بعد بإعطاء أى ربح : وهم يعرفون أن ميشال أنشأ بوليصة تأمين لاحظت فيها حوادث للبحر والقتل .

وفى الثامن من إبريل كان عيد فى جيدل وفرغت البيوت من أصحابها وأخذت خادم الزوجين عطلة بمناسبة العيد .

وظلت الشابة وحدها فى الفيلا ؛ وكان البحر يستدفىء بهدوء بحرارة الشمس . وصوت ثعلب . إنها الرابعة بعد الظهر . وفجأة باغتت المرأة صدمة رهيبة ، فقد رأت شعلة نارية على الأرض . وهرعت نحو التليفون صارخة لتطلب النجدة . وانطلقت ست رصاصات فى حين كانت عاملة التليفون تجيب عبثا على نداءات الاستغاثة التى كانت الصحية قد أطلقتها .

وفى وسع الشرطة أن تجىء الآن . ويجيد ميشال لعب تمثيلية

الزوج المفجوع باكتشاف المأساة التى لا تفسر . ترى أبوه من سيجرى التحقيق ؟ سيطلق ميشال العدالة فى أثر أحد المتشردين .

والواقع أن الوالد أكد فرضية ابنه . فلم يكن يراوده أى شك بابنه . انه هو الذى اتصل تليفونيا بشركة التأمين . لكنه حين وصل إلى لوك فى اليوم التالى ، بدأ عليه أنه قلق ، إن الأحاديث العامة تشير إلى ابنه . لكنه ما زال يشك فى ذلك .

قال :

ـ يريدون أن يلوثوني ؛ أن ينتقموا . لكن ميشال برىء لقد تحدثت وإياه طويلا .

وسار ميشال فى الموكب الجنائزى ؛ قاسى النظرة منكوش الشعر ، وراء نعش زوجته القتيل ، عبر الأرض الرملية كانت قبضات الناس فى الموكب تنقبض . أما هو فلم يكن يطرف له جفن .

ومع ذلك فالأدلة كلها موجودة هنا واضحة ؛ غير متناقضة ؛ رهيبة .

هو ذا اليوم الثالث من التحقيق ، كان النائب العام وهو يتخلى

عن الملف الذى يتجمع فيه الكثير من الأدلة التى تتجه نحو ابنه ميشال كان ما يزال يحاول المواجهة .

ـ لم يصب ابنى إلا ببعض الاضطرابات . إنه غير مذنب . سيتبرأ .. اسألوه .

بعد أربع وعشرين ساعة اعترف مجنون اللاند بقسوة ، بجريمته البشعة :

قال المفوض بيروسير :

ـ إن هذه الجريمة هي من أصعب ما مر بى فى عملى : كنت فى مواجهة نائب عام يطلب منى البحث عن المجرم الذى قتل ضحيته : ويسألنى كل لحظة عن مسار التحقيق واضطررت أن أقول له : لقد اكتشفت القاتل ..إنه ابنك . وكنت أفضل لو يقوم بديلى أو قاضى التحقيق بإبلاغه ذلك . لكن هؤلاء السادة فضلوا أن يتركوا لى هذه المهمة .

وتهالك الرجل الذى كان صوته يتعالى مطالبا بأقصى العقوبات للفاعل ؛ تهالك مصلوبا، وقال بصوت كسير :

فلتأخذ العدالة مجراها ؛ ولتقم بواجبها .

* * *

- إنك لم تنقطع عن تكرار قولك إنك كنت تضرب زوجتك لتهربها من القيام بواجبها الزوجي ، هل الأمر كذلك حقا؟

- إنه كذلك .

- قلت إنها لم تسمح لك بمضاجعتها غير عشر مرات في السبعة أشهر وإنما كانت تتمنع ويمنعها شيء من طبعها .

- أجل يا سيدى القاضى .

- إن المرأة لم تذكر شيئا من هذا في رسائلها . اللهم إلا مرة واحدة حين امتنعت عنك فيها لتعاقبك على تجديفك والإشارة هذه واضحة ، لكنها في مجمل الأمر توجه اللوم إليك على تقصيرك .

كان ميشال يرتدى ربطة عنق بيضاء وقد حشر نفسه في بدلة سوداء هي بدلة الحداد التي كان يرتديها يوم الدفن . وضم كتفيه وكأنه خائفا .

ماذا كان يخشى؟ كانوا يخاطبونه كما يخاطب الولد غير السوى لصديق تعيس . وندر ما قدم للمحاكمة متهم كان سبب حرجا للمحكمة كهذا المتهم . ولم يوفروا علينا أي شيء ، أمراض طفولته

، وما لقي من دلال أمه . أما هو فكان يصغى منذهلا . ثم جمدت يداه المضطربتان فجأة . وتبسم حين قالوا عنه إنه صياد ماهر . وحين ذكروا بندقيته العزيزة .

أأطلقت خمس أم ست رصاصات بسرعة كبيرة . لقد قلت إنك كنت مثارا كما لو كنت فى الصيد .

ـ إنى معتاد كثيرا على الصيد يا سيدى الرئيس .

ـ أأنت نادم على هذه الجريمة؟

ـ أجل

ـ هذا صحيح فقد أصابتك كوابيس فى السجن وحاولت أن تنتحر .

وذكر فى المحكمة أن أهل ميشال حين هزتهم الاضطرابات التى أصيب بها ابنهم فى سن السادسة عشر ؛ استدعوا طبيبا قرر أن حالة ابنهم العقلية كانت حالة مرضية واضحة .

كان مصابا بانهيار سويداوي . وكان مهووسا بتعرية النساء ومشاهدة عريهن .

لكن الطبيب الآخر الذى عالج المتهم قوطع عندما قال إنه

يعتبره متفسخا أخلاقيا ؛ ولم يلق العناية الكافية من قبل أهله .

- لولا ضعف أبيه الإجرامي حقا ؛ لما كان ماثلا هنا الآن . لقد كان عليه وهو القاضي ، كان عليه أكثر من أي رجل آخر أن يقلق لانحراف ابنه الطبيعي .

وقاطعه القاضي :

- أيها السيد هذا يكفي .

واحتاج الخبير النفسي إلى كبير شجاعة ليعلن أنه إذا كانت هناك عوامل وراثية تخفف من مسؤولية المتهم الجنائية ؛ فإن جريمته ارتكبت بكل وعي : وبكل وضوح ما دام المتهم قد اختفى مباشرة بعد ارتكابها .

وجاء دور الأب ورجا الرئيس الجمهور أن يحافظ على أكثر ما يمكن من الهدوء . ومثل رئيس محكمة لوريان السابعة كشاهد . وكان رئيس المحكمة يأمل ألا يضطر إلى اتخاذ عقوبات بحق بعض من يشوشون أو يحدثون أية ضجة طارئة .

غير أن اقتراب الوالد من القوس ، والانزعاج على وجهه ، كان له من الأثر في فرض الصمت أكثر مما كان لتحذير القاضي

السابق يقول بصوت منهار :

ـ إنني في وضع صحي : لا يسع أي طبيب يطلع عليه أن ينصحني بالمجيء إلى المحكمة اليوم . لكن ما أكثر ما انتقدت كقاضي الشهود الذين كانوا يتغيبون عن أداء شهاداتهم .

وأردف :

ـ من كل هذا الشقاء الرهيب ، كنت جاهلا كل شيء . ولم يكن لدي الفضول بدوره . اسأل ابني عن حياته الزوجية . ولعله لم يكن ليجرؤ بدوره على أن يحدثني عنها، خشية أن أقول له : "لقد أردت الزواج ؛ فتحمل نتائج ما أردته" .

وما أكثر ما كانوا يقولون لي ، يا سادتي المحلفين ، إنني لا أوحي بالمودة وإني غير متواضع .

وحتى بعد وقوع المأساة ؛ امتنعت أم الضحية عن ذكر الرسائل التي كتبتها ابنتها .

ـ لست أدري ما إذا كانت قد تكونت لديها شكوك ، لكن ما أعلمه أنها كانت رحيمة إلى حد أنها لم تخبرني بها .

وغدا صوته أجش أكثر من قبل .

ـ وإذا كنت هنا . فلأن النيابة العامة هي التي وجدت من الضروري أن أغادر العزلة التي كنت أختبيء فيها عاري .

وكنت لأفعل ذلك لو كنت مكانهم ، وإني لأشكرها، هنا نبرات لا تخدع ، والسادة المحلفون يشعرون جيدا أنني لم أكذب في حياتي مطلقا . وأنني محرج في طلب الرحمة لمريض كان يجب أن يدخل مصحة أمراض عقلية . لقد صنعت لي ؛ خلال عملي الطويل الذي امتد أربعين عاما ؛ أعداء كثيرين لأنني كقاضي اتهام لم تتح لي الفرصة كثيرا لأطلب الشفقة والرحمة للآخرين .

أما أم المتهم التي رأى بالإجماع أن يوفر عليها عذاب المثول أمام المحكمة فقد أصرت على أن تقف أمام القوس . ولم يكن لديها هي أيضا أية فكرة عن الحياة الجحيمية التي كان يعيشها ابنها وضحيته .

ـ كنا نحب بعضنا كثيرا ؛ ولم يكن أحد منا يحب جرح الآخر ومن هنا جاءت التعاسة كلها، وكنت أحب زوجته ، وأعتقد أنها سعيدة . كنت أسألها : أكل شيء على ما يرام يا صغيرتي ؟ فتجيبني أجل يا أمي .

كانت دائما دون انفعال ؛ مكررة دائما : أجل يا أمي ؛ لا يا

أمي . وكنت أتمنى لهما طفلا ألاعبه فى حضنى . ولم تجيبنى قط .
الرحمة . لعلنى لم أر ابنى كما يجب . ولم أعتقد مرة أن ذلك سيكون
ذا نتائج عليه . عفوا .

ومرتجفة ، منكسرة ، مستديرة نحو قفص المتهم قالت :

ـ أما أنت ، يا حبيبى . فأطلب منك العفو لأننى ولدتك .

كنا جميعا نحس بالاختناق . وامتلأت المآقى بالدموع . أما هو،
البائس ؛ فكان يبدوا غافيا، منخفض الرأس . ولم يكن شىء ينبئ
أنه انفعل نتيجة صرخة أمه الممزقة .

وأثار اعتدال مطالعة النائب العام الذى ذهب إلى حد اعتبار
عدم وجود سبق إصرار وتصميم ، أثار وخلال مرات عديدة
احتجاجات وهمهمات . ورغم كل الاحتياطات ، فقد وصلت نقمة
الصعب وثورته حد قوس المحكمة . ذاك أن ما لم يكن فى وسع
الرأى العام أن يهضمه ؛ هو أن المال أعطى المقام الأول فى هذا
الزواج الذى لا معنى له .

قال الخبير :

ـ لاشك أنهم أخطأوا بتزويجهما . والزواج ليس علاجا فى مثل

هذه الحالة .

واستمعت المحكمة باحترام للمرافعة المثيرة التى تلاها الأستاذ جوزيف بنكس قائلا إنه رغم إصابته هو نفسه بإرهاق عصبى فإنه لا يستطيع إلا أن يشعر بأن شعورا بالشفقة يسيطر عليه ، نحو هذا المريض الذى يدافع عنه .

ولم يكن القرار رحيما ؛ فقد حكم على ابن القاضى بالسجن عشرين عاما مع الأشغال الشاقة المؤبدة .

مارسيل مونتارون



أحلام ميت



أحلام ميت

ل . هاري ديكجرمان المدير التجاري لشركة ب . ل . الصناعية ما زال يرتجف وهو في المترو : من الحلم الذي شاهده الليلة الماضية . شاهده ، في ذلك الحلم : سلم ليبكنج ، أحد مساهمي الشركة الكبار متوفيا . والأدهى من ذلك أنه عاد وقام من موته . . . ونادى هاري على التليفون .

كان هاري يحدث نفسه قائلا أن ذلك الحلم يبدو كأنه الحقيقة ولأجل هذا كان ما زال مضطربا .

كان ذلك فيما بين الساعة الثالثة والرابعة من الصباح عندما قفز هاري من سريره على صوت جرس التليفون وسمع صوتا من الطرف الآخر من الخط يقول له :

ـ ألو هاري . . هنا سلم ليبكنج ورد هاري على الصوت .

ـ نعم مسيو هاري . . . غير أنه في هذه اللحظة رمى السماعة من يده مرتعبا وأخذ ينظر إلى التليفون وهو يفكر ، أن ليبكنج قد

مات وذهب بنفسه إلى دفنه وشاهده بعينيه فى التابوت . . ولكن ما معنى كل هذا؟ .

ها هو الآن يحشر نفسه بين المسافرين بوجهه الرقيق المتجمد ويؤكد لنفسه أنه رأى في الحلم ، ليبكنج ميتا . وهذا ما كان يفقده صبره . يريد الوصول بأسرع وقت ممكن إلى المكتب ليرى هذا الأخير حيا وبصحة جيدة :

وهكذا صرخ فى التليفون بحلمه :

ـ ما هذا ؟ ما هذا؟ من الذى يمزح معى بهذه الطريقة السمجة؟

وأجابه الصوت :

ـ أؤكد لك بأنه لا يوجد مزاح . . آلو . . ألا تعرف صوتى بعد هذه المدة الطويلة ونحن نتكلم بها معا بواسطة التليفون ؟ يجب أن تعرف صوتي يا هارى . .

ـ هذا من غير المعقول . . فليبكنج قد مات . .

ـ هذا صحيح يا هارى . . إننى مت .

وفى هذه اللحظة فكر ديكجرمان بأن كل هذا أضغاث أحلام

ولا ينتمى إلى الواقع بشىء ، والأفضل له أن يستيقظ . . . غير أنه لم يستطع ذلك . إذ إنه هكذا تجرى الأمور ؛ بعض الأحيان ، فى الأحلام . يأخذ الإنسان بالمقاومة وبمحاولة إنهاء الحلم ولكنه لا يستطيع ذلك . ثم قال فى نفسه : لأجرب إذن أن أكون واقعيا .

وأخذ السماعة ثانية وتكلم :

ـ إنى أعترف بأن الصوت صوتك ولكن كيف تستطيع محادثتى على التليفون وأنت على ما أنت عليه ؟

ـ وكيف يمكننى غير ذلك ؟ أرجو أن تصدقنى . ليس لدى سوى هذه الطريقة للاتصال بك . فالتليفون هو أفضل وسيلة فى ظروف كهذه بشرط أن تكون الخطوط جيدة ، وهذا ما لا يتيسر دائما .

ـ وأية خطوط تعنى ؟

ـ إنى لست مهندسا فى الكهرباء يا هارى . إنما كل الذى عرفته فريدا حصلت على خط حر يصل إليك فى هذا الوقت من الليل . وأعترف أنه كان حظا فريدا .

ـ لنفترض أنك أنت بالذات ، رغم أنى لا أؤمن بذالك ، فماذا

تريد ؟

- جئت أطلب منك خدمة . .

- وما هى؟

- أن تقتل واحدا إكراما لى . .

- الوداع إذن .

- اسمع . ولو . يا هارى ؛ لحظة واحدة فقط . ولو . . قل لى ؛ هل بقيت الأشياء كما كانت عليه فى الشركة منذ أن رحلت عنكم ؟

- تغيرت الأشياء . . رحمك الله .

- إلى أسوأ ؛ أليس كذلك ؟ لقد أصبح الآن بنر ذاك الرئيس الوحيد دون منازع ولم يعد يعاملك بلياقة أبدا .. ها؟

- إنه يعاملنى كالكلب تماما . .

وسمع الصوت يقول :

- هس . . هس . .

- وكذلك حذف مخصصاتى على البيع ولم يعد لى ، حسب رأيه سوى معاشى فقط .

ـ ومع هذا من الذى يجلب الزبائن غيرك ؟ آه يا هارى . كنت دائما أفضل بائع عندنا .

ونسى ديكجرمان غرابة المكالمة واسترسل فى سرد همومه ومتاعبه . قال :

ـ لم يعد لطيفا نحوى أبدا حتى أنه لم يعد يشعر بى إطلاقا . فهو يلقى الأوامر على ويكلمنى بطريقة فظة ؛ شرسة أمام الجميع .

ـ ألم أكن لطيفا معك أنا ؟

ـ إنه يستعد لطردى . . ولكننى فى الشركة منذ عشرين سنة ويخاف أن يؤثر هذا ببقية الموظفين . لذلك يحاول إجبارى بطرقه الخاصة على أن أترك العمل أنا من تلقاء نفسى . وها هو الآن قد أحضر أحد أقربائه وابتدأ ينقل إليه تدريجيا جميع صلاحياتى الواحدة تلو الأخرى .

ـ كنت أفكر أن أجعل منك شريكا يا هارى .

ـ إنى أعلم ذلك .

ـ إن الطريقة التى يعاملك بها بنر هى عار ومذلة .

وبعد أن سكت الصوت قليلا عاد وتابع :

ـ وهذا هو الرجل الذى أريدك أن تقتله . .

ـ بلا مزاح أرجوك .

ـ كلا يا هارى إنه الواقع .

ـ وماذا بينك وبين بنر ؟

ـ ومن تظن أنه كان سبب نوبتى القلبية ؟ هو طبعا . لقد اكتشفت أنه كان يجرى وراء زوجتى .

ـ كلا . .

ـ نعم . إنه زنديق وقح بنر هذا . إذا كنت لا تعرفه فاعرفه الآن . إن حقدى ينصب عليه وليس عليها . . ولكنى أحتاج لواسطة ؛ وهذه الواسطة هى أنت يا هارى .

ـ أرجوك بلا سذاجة . من قال لك إنى قاتل سفاح ؟

ـ إنك تستطيع أن تضع يدك على بنر . وأعرف جيدا أنك تفرح كثيرا لو أتيح لك ذلك والآن ما رأيك بمليون دولار كطعم أول إضافى .

ـ إنك تهذى يا مستر . . يجب أن أقفل الخط .

ـ كلا أبدا . لا تضيع هذه الفرصة من يدك . فأنا أعرفك جيدا يا هارى . وأنا أتمتع الآن بقوى خارقة لا يمكن أن يتصورها خيالك . أستطيع أن أضع بين يديك مليون . . مليونين . . وأكثر وذلك دون أن أدع أحدا يزعجك . عند ذلك تذهب إلى التقاعد وتصبح من أولئك الأغنياء الذين لا يهمهم من هذه الدنيا إلا المتعة والراحة والجمال . أنا أعرفك جيدا . فأنت تحب أن تعيش كملك صغير لديه الخدم والحشم والجوارى والسيارات والقصور الفخمة .

وأخذ ديكجرمان يفحص بتأنى سماعة التليفون التى فى يده ويتأملها جيدا وهو يفكر . ثم بعد لحظة صمت أجاب :

ـ إنى لا أصدق كلمة واحدة مما قلت . كل هذا هو أضغاث أحلام بالنسبة لى ؛ وهو مستحيل من المستحيلات .

وأجابه الصوت بهدوء وتمهل :

ـ حلم ؟ آه يا هارى . والحياة كلها : أليست حلما من الأحلام؟ من يعرف الواقع من غير الواقع ؟ فالقضية قضية اعتقاد فقط . ألا تؤمن بذلك ؟

ـ طبعا . ولكن . .

وهنا أصبح الصوت رزينا وقاطعه قائلا :

ـ اسمع . لاتوجد هناك أية مخاطرة بالنسبة لك . إنما اتبع تعليماتى فقط . وأنا من هنا باستطاعتى مشاهدتك أينما كنت وفى أى وقت . إذ إن جميع الأشياء منفتحة أمامى . فكيف أستطيع خداعك إذن ؟ ولكى أعطيك برهانا مقنعا، سأقول لك كل ما قمت به ظهر أمس .

ـ اتفقنا .

ـ لقد أهانك بنر صباح أمس أمام الجميع . إذ كنت لا تعمل بجد ونشاط واستغرب الأمر زملاؤك وهزؤوا منك وقالوا إنك أصبحت على المنحدر الصابونى الذى يوصلك إلى نهايتك . كما قلت لك يا هارى : أنت بائع ماهر ولكن فى حالك العقلى الراهن كيف تستطيع الإنتاج ؟ على كل حال جربت ذلك بنفسك وذهبت إلى ساكوسس فى نيوجرسى لتبيع بعض البضائع . وكانوا يحتاجون إليها هناك . غير أنهم لم يشتروها منك أليس كذلك يا هارى ؟

وأجابه هارى بالإيجاب بحزن ظاهر وهو يفكر بتلك السكرتيرة الشقراء الجميلة كيف تلقت ببرودة ظاهرة دعاباته التى يشوبها شيء خفيف من العصبية ثم انتظاره أكثر من ساعة ونصف حتى

حظى بمقابلة السيد اندلاس تلك المقابلة التى انتهت برفض جاف .

وهدأت أعصابه وهو يقول بعد فترة وجيزة من الضغط والشدة مت يا بنر . اذهب إلى الشيطان يا أيها الجرذ اللئيم .

ولكن بعد أن انتهى من عمله شعر برعب مفاجيء يستولى عليه كيف تصرف هذا التصرف ومن قال له إن هذا الرجل هو بنر بنفسه يا للبله والحماقة . وإنه آمن كثيرا بذلك الصوت . من يقول له أنه لا يخطيء أو لا يجوز أن يكون قد ارتكب جريمة قتل ضد رجل آخر لا يعرفه وبالتالى تكون النتيجة لا شيء!

وحاول أن يرى بنفسه سحنة القتيل . ولكن الغرفة كانت مظلمة . وبعد تفكير قليل استجمع على أثره بعض قواه العقلية وتذكر المصباح وذهب وأناره . وأرسل تنهيدة ارتياح بعد أن انتشر النور . أنه بنر بنفسه .

والآن يجب الخروج من هنا . يا للغرابة إنه لم يكن خائفا أو مضطربا . فقد اتضح له أن ليبكنج قد أرشده بوضوح وهو لذلك مؤمن به الآن متكل عليه لتخليصه نهائيا . واطمأنت نفسه . فالوقت كاف أمامه للذهاب دون أن يدرى به أحد . فالجريمة لا تكتشف قبل الغد . وعندما تكتشف فالمتهم سيكون حتما من بين

أولئك الزبائن أو المستخدمين فالمعروف عن ديكجرمان أنه لا يدخل إلى مثل هذه المحلات قط .

وخرج المدير التجارى من الغرفة مطمئنا هادئا ثم اتبع نفس الطريق التي دخل منها ووصل إلى ملابسه وارتداها بكل هدوء . .

وشعر ديكجرمان بأن الصباح يقترب وأن عالما آخر أخذ يتبلور ويتجسد . ثم عبرت كيانه رعشة قوية وهو قابع تحت الأغطية . .

هاهو قد رأى ذلك الحلم ! آه لقد ارتكب جريمة ، لقد أزهق أنفاس رجل فى حمام تركي ولم يكن ذلك الرجل سوى بنر معلمه رئيسه . وأحس أن مطرقة كبيرة تضرب فى رأسه .

وانتابه خوف كبير . يريد الذهاب ، بأسرع وقت ممكن إلى المكتب ليتحقق من الأمر رغم أنه كان يعرف تمام المعرفة بأن كل الذى جرى له لم يكن سوى حلم . وتناول فطوره بسرعة ، وبسرعة ذهب إلى المترو وكذلك كان يقطع الشارع الضيق المؤدى إلى بناية الشركة . كان يسير وكأنه فى ضباب كثيف ، ووصل أخيرا إلى المكتب وشعر بالارتياح يعود إليه : هاهو أمام ليبكنج وأمام بنر وهذا الأخير ما زال يتمتع بصحة جيدة ويتنفس ككل الناس .

وابتدره ليبكنج قائلا :

ـ أهلا هارى . بعد العمل الكبير الذى قمت به أمس وبعد تلك المبيعات الضخمة التى حققتها للشركة قررنا نهائيا اتخاذك شريكا لنا وفى الحال . أليس كذلك يا ميلتون؟

ـ بكل سرور . أنا أعترف لك يا هارى بأنك تستحق ذلك عن جدارة .

قال له بنر هذا الكلام بتلطف غير عادى لم يعهده من قبل .

ـ إذن سنرسل وراء المساهمين وأوراقهم لنتمم الأمر .

وسأله بنر :

ـ ما رأيك فى هذا يا هارى .

ـ أنا . . أنا . .

وقال ليبكنج :

ـ هات لنا لنشرب نخب هذا العمل . . ولكن انتظر سأذهب أنا بنفسى .

وجاءت المرطبات وارتطمت الكؤوس ببعضها وقال ديكجرمان

متأثرا :

ـ فعلاً أيها السادة لا أستطيع إيجاد الكلمات لأعبر لكم .

وشعر ديكجرمان بهلع مفاجيء يسيطر على كيانه . ها هو يرى ليبكنج وبنر يتبخران ويذوبان أمامه ، وانغلقت عليه جدران المكتب وأخذ يزأر ويرسل صياحا مرعبا .

كان يتخبط فى سريره وسط كابوس ثقيل . وانفتحت عيناه فى الظلمة . وهدأ أخيرا . ها هو على أعتاب اليقظة وابتدأ تفكيره يعود إليه تدريجيا وبكسل .

لقد كان فريسة للأحلام . نعم الأحلام . . والحلم الأخير منها كان هذا حلما مدغدغا ؛ رأى نفسه شريكا ومساهما فى الشركة والأعمال تسير بتقدم مضطرد والمال ينهمر عليه بغزارة وها هو قد أصبح رب عمل كما يتمنى ؛ ثم تلك الفتاة الفاتنة وتلك السهرة التى قضاها معها .

ولكنه رأى حلما مزعجا أيضا . لقد ارتكب جريمة وشعر بالرعب . واستيقظ ديكجرمان وعاد إلى عالم الحقيقة . ذلك العالم الذى كان يود الدخول فيه ثانية . وحاول العودة ثانية للنوم وارتمى فى فراشه غير أنه لم يستطع ذلك .

* * *

ورن جرس الهاتف .. وكانت الساعة تشير إلى تمام الثالثة تماما . إنه حتما النداء الغريب الذى كان يصله بما وراء الطبيعة .

وأخذ ديكجرمان السماعة وهو متأكد كل التأكيد من سماع صوت ليبكنج ؛ غير أنه فى هذه المرة سمع صوتا آخر يناديه يشوبه الحق والوعيد بالانتقام : كان الصوت يقول له : ديكجرمان؟ هنا ملتون بنر . .

ميتشل زيراو



الشقراء أم السمراء

الشقراء أم السمراء؟

رن جرس الهاتف في الساعة الثامنة تماما ، وكان كوستون يجلس وراء مكتبه ؛ وهو ينتظر هذه المكالمة بفروغ صبر ، ورفع السماعة:

ـ هل أنت المستر كوستون ؟

ـ نعم

ـ أنا الرجل الذى استأجرت ولا شك فى أنك تفهم بالطبع ما أعنى .

ـ أجل إننى أفهم ما تعنيه

ـ أتريد التنفيذ هذه الليلة ؟

ـ أجل ! الليلة . أعددت كل شيء ؛ لهذه الليلة بالذات .

ـ وماذا تقول حول الأجر ؟

ـ إنه معى هنا

ـ كله معك . نقدا ؟

ـ أجل ، كله ؛ أوراق من فئة المائة دولار .

ـ من عادتي أن أتناول الأجر مقدما .

ـ لا ضرر في ذلك عندي ، أين تريد أن أقابلك ؟ ليس لدى وقت طويل .

ـ هذا حسن ، إانني على مسافة قصيرة من مكانك ؛ وسآتيك بعد خمس دقائق .

وأغلقت السماعة من الطرف الآخر . فأغلقها ميرون كوستون بدوره وانتظر بضع ثوان قبل أن يرفعها من جديد ، ويدير القرص ، طالبا رقما .. وانتظر بفروغ صبر ، دلت عليه أصابعه التي كانت تنقر على المائدة ، وسمع صوتا نسائيا من الطرف الثاني يرد عليه وفي رنته كل مظاهر الكسل والضجر :

ـ هالو !!

ـ سيدتي ؟ أنا ميرون

ـ حسنا إنها لمفاجأة

ـ أرجو أن تكون سارة

ـ ليس كثيرا .

- هذا يبعث فى نفسى خيبة الأمل

- حسنا ، أرجوا أن لا تقر عينك

- لقد فكرت طويلا فى موضوعنا ؛ ووجدت أن الأمر كله يعود إلى خطأ منى

- ما أكثر ذكائك ، حتى تصل إلى هذه النتيجة ، يا عزيزى ميرون

- حسنا ، أرجو أن لا تقرعينى لقد قلت لك إننى أوافقك وسأقول لك الآن شيئا آخر ، إننى لم أر رجينا مالز منذ هجرتنى أنت .

- وماذا تنتظر منى أن أفعل الآن .

- أنتظر منك الصفح عنى ، والعودة إلى !

- وأحس بترددها فى الجانب الآخر من الخط . وتطلع ميرون إلى ساعته ثم قال :

- سيدتى أريد أن أراك ؛ هل أستطيع المجىء إليك ؟

- لا أدرى يا ميرون

قالت هذه الجملة بصوت حائر متردد اختلفت نغمته الآن وأصبحت أكثر رقة ونعومة .

ـ أنت فى الطابق الثالث أليس كذلك ؟ فى الشقة رقم ٣٠١

ـ أفضل أن ألقاك فى محل عام يا ميرون

ـ اسمعى يا حبيبتى إنك ما زلت زوجتى ولم تصاب سمعتك بسوء إذا ما سمحت لى بدخول شقتك .

قال هذه العبارة : بطيش ورعونة ، وقد أدرك لتوه أنه أخطأ فيها : فقد تبدلت لهجة حديثها : وعادت إلى القسوة والخشونة من جديد .

ـ إنها ليلة الخميس : يا ميرون ، ليلة مجىء أصدقائك المقامرين .

وتطلع إلى ساعته من جديد : وتحدث هذه المرة بسرعة ، وبلهجة آمرة وقال :

ـ لا يهمنى أمرهم .. سيدتى ، إننى بحاجة إلى رؤياك .. يجب أن أراك فهل تكونين فى بيتك الليلة ؟

وخيم الصمت على سلك الهاتف : وارتجفت أصابعه وهو ينقر

بها على المائدة . . وسمع صوتها تقول ثانية :

" أجل سأكون هنا ؛ يا ميرون . . فليس لدى من مكان آخر أذهب إليه . "

- إذن سأكون عندك .

وأغلق السماعة ؛ ثم تطلع إلى ساعته ؛ لقد غدت الساعة الثامنة وأربع دقائق ؛ وأدار القرص ، طالبا رقما جديدا ، وسرعان ما جاءه الرد على الطرف الآخر .

- هالو ! . .

- رجينا ؟ . . أنا ميرون

- ميرون ؟ يبدوا لى إنى أذكر شخصا بهذا الاسم منذ أمد طويل . .

- اسمعى ليس لدى وقت للمزاح فأنت تعرفين الموقف .

- طبعا ؛ أنا أعرف ؛ لقد اكتشفت زوجتك ؛ ثم هجرتك منذ ذلك الحين ، ولاشك فى أن تلك المرأة قد أرهبتك وأخافتك .

- بالطبع إنها ترهبنى ، ففى يدها جميع الأوراق الرابحة ؛ فإذا حصلت على الطلاق ؛ مبرهنة ، على خيانتى الزوجية ؛ فإنى أصبح

فى ملجأ الفقراء . إن سيدتى هى التى تملك المال بل الثروة الحقيقية الطائلة ، وليس باستطاعتى السماح لذلك المال بالتسرب من يدى .

ـ إذن ماذا تريد أن تعمل أيها الصبى العاشق ؟ إنك تحبنى وتحبها لمالها ؛ ولا يسمح لك القانون بامتلاكنا معا .

ـ لقد قلت لك إننى سأتدبر الأمر

ـ ها قد انقضى أسبوعان دون أن تتدبر الأمر .

ـ إن مثل هذه القضايا تتطلب وقتا .

ـ قلت لك ، الطريقة التى يجب أن تتبعها ، هددها بإثارة فضيحة كبيرة إذا لم تدفع لك . باستطاعتى أن أتولى هذا الأمر يدور فى خلدى أن أذهب إليها فى بيتها وأتحدث إليها بنفسى .

ـ رجينا ، لا أريد منك أن تفعلى شيئا كهذا ؛ هل تفهمين ؟ ابتعدى عن سيدتى .

ـ اسمع يا ميرون ، أنا لا أحب أن أتلقى الأوامر على هذه الصورة .

وشعر بالعرق يتصبب من جبينه ، ومر بيده عليه فمسحه وقال :

- رجينا : إنني أعدك ، وأقسم لك بشرفي .

- كم سيطول الأمر ؟

- بضعة أيام فقط .

- مازلت أعتقد أن فكرتي هي الأفضل .

وسمع طرقة على الباب . كانت ساعته تشير إلى الدقيقة السادسة بعد الثامنة .

- لا ، أبدا يا رجينا ، ابقى بعيدة عن الموضوع ، انه شأني .

- شأنك .. شأنك وحدك ؟ إنها طريقة غريبة في رؤية الأمور .

- اسمعى : يا رجينا ، سأراك غدا سأمر عليك : وهذا وعد .

- وما يمنعك من المجيء الليلة ؟

وسمع طرقة أخرى على الباب . كانت هادئة ولكنها سريعة وقال :

- على أن أذهب الآن ، تذكري ما قلته لك . ابعدى عن سدني .

- لا تصدر إلى أوامرك .

وأغلق السماعة من ناحيته : وأخرج منديلا من جيبه ، مسح

به العرق المتصبب عن وجهه ؛ ثم نهض عن مقعده وفتح الباب .

كان الرجل الواقف بالباب ، يرتدى بدلة رمادية أنيقة ، وقبعة من الفلين ؛ أنزلها قليلا على وجهه . ولكن الوجه مازال ظاهرا إنه وجه نحيل شاحب ؛ تظهر فيه القسوة ؛ وعيناه شاحبتان أيضا ؛ وفيهما زرقة السماء ولكن الوجه لا يجتذب اهتماما خاصا .

وقال ميرون :

ـ تفضل ادخل . .

ودخل الرجل . وأغلق ميرون الباب وأقفله من الداخل . ثم قال

ـ اجلس . .

وعبر الرجل الغرفة ؛ واختار أحد المقاعد المريحة الكبيرة فجلس مسترخيا دون أن ينزع قبعته ، وجلس ميرون محتدا ؛ على طرف مقعد آخر ، وحاول أن يكون لطيفا مع ضيفه ، وأن يسبر غوره فقال :

ـ افترض أنك قد قمت بمثل هذا العمل سابقا .

ـ أجل أنني أعرف ، كيف أعمل .

ـ لقد تفاوضت مع رجل يدعى ماركل : فهل بعث هو بك إلى؟

وابتسم الرجل ابتسامة رقيقة ناعمة وقال :

ـ لا أعرف شخصا باسم ماركل . لكن هذه الترتيبات غالبا ما تدور بين سلسلة طويلة من الناس . وكل شخص لا يعرف إلا الشخص الآخر الذى تحدث اليه . ومن الصعب أن يقتفى الإنسان السلسلة من أولها ؛ على كل حال ، آمل أن لا تكون قد أسررت لماركل بما تريده تماما .

ـ لا أبدا . وماركل على كل حال لن يتكلم .

ـ حسنا فماذا تريد الآن بالضبط ؟

ـ أريد التخلص من زوجتى .

ولم يبد على الرجل أى مظهر من مظاهر الدهشة وقال :

ـ زوجتك ؟ .

ـ لقد فكرت طويلا ؛ فى طريقة الخلاص ، ووضعت عددا من الخطط الخيالية العقيمة والمعقدة ، ولكننى كنت دائما ، فى حيرة .

فقد أهمل بعض التفاصيل ، ولا سيما وأنها معقدة ، وقررت أخيرا اللجوء إلى الطريقة البسيطة المباشرة .

ـ هذا عين الحكمة فالخطط المعقدة هى التى تفشل دائما.

ـ إننى وزوجتى مفترقان عن بعضنا وإذا حدث لها شىء ، فسيتجه الشك إلى حتما ولكن ستتوفر لدى الأدلة ، على وجودى بعيدا عن مسرح الجريمة ، سيعجزون بالطبع عن إثبات أى شىء على ، ألا تعتقد أن هذه هى الطريقة المثلى ؟

ـ أجل هذا ما أراه ؛ وجميع الأعمال التى سبق لى القيام بها كانت تشبه الخطة التى وضعتها أنت ، ولم يعتقل أى إنسان فى جميع ما سبق من حوادث ، ولو اعتقل إنسان ؛ لما كنت أجلس هنا الآن .

واسترخى ميرون كوستون قليلا وقال : "يبدوا لى أنك إنسان مشجع " .

ـ وهناك شىء آخر يا مستر كوستون ؛ فأنا أضمن عملى ؛ لم يسبق لى أن فشلت قط من قبل ؛ إنك تدفع ثمنا للقتل ، وفى وسعى أن أعدك ، بأن القتل سيقع ؛ إنها صفقة كأى عمل تجارى آخر ، والثقة تعنى وفرة الزبائن ؛ والآن أرجوك أن ترسم لى الخطة .

ـ حسنا ها هى . إننى منفصل عن زوجتى ؛ لقد هجرتنى منذ أسبوعين وهى تعيش الآن فى الشقة رقم ٣٠١فى شارع وولتون ارمز . وقد تحدثت إليها هاتفيا قبل قليل ؛ لأتأكد من وجودها هناك .

ستكون في البيت وحيدة طيلة المساء إذن بانتظاري . وهكذا فإنها ستفتح لك الباب ، وهذا مؤكد ؛ وعليك أنت ، أن تتولى بقية الموضوع هناك . أما أنا فسأكون هنا مع أشخاص من أصدقائي ليشهدوا معي فيما بعد . أعتقد أن من الخير أن تنتظر حتى العاشرة ؛ حتى إذا ما أخطأ الطبيب في تحديد وقت الوفاة ؛ لا يقع خطؤه على أن أصدقائي سيصلون في الثامنة والنصف .

- هذا حسن للغاية ؛ والآن لماذا تريد أن تموت زوجتك ؟

- أمن الضروري أن تعرف ؟

- لا ؛ ليس من الضروري ؛ إذا لم ترغب في القول .

- لا بأس ؛ سأخبرك ؛ فستقرؤه في الصحف فيما بعد ؛ إن زوجتي امرأة ثرية ؛ وأنا رجل فقير . وكان هذا أحد الأسباب التي دعتني إلى الزواج منها ثم وقعت في غرام صديقة لي . واكتشفت زوجتي الموضوع فثارت وماجت ، ثم هجرتني ، وبدأت تتحدث عن الطلاق . وإن كانت لم تقم بأية خطوة في طريقه حتى الآن . وإذا حصلت على الطلاق غدوت فقيرا من جديد .

- في وسعك أن تتخلى عن صديقتك .

ـ هذا بيت القصيد ؛ إنني لا أريد التخلي عنها . فأنا أحبها ؛ أحبها . . منتهى الحب . فهى المرأة الأولى التى أحس نحوها بمثل هذا الشعور .

ـ إذن فأنت تريد الاحتفاظ بصديقتك وأموال زوجتك ؟

ـ تماما .

ـ وإذن فالخلاص من الزوجة ؛ هو الطريق الأمثل ؛ حسنا ، لقد أصبحت أعرف كل ما أريد معرفته . وإذا أخذت الأجرة فإنى . .

ونهض ميرون وقال .

ـ بالتأكيد ؛ لقد أخفيت المال فى غرفة نومى أرجو أن تنتظر قليلا هنا . .

وعبر ميرون إلى الغرفة وفتح بابا دلف منه إلى الخارج ؛ ثم أغلقه خلفه ؛ ولم ير الضيف فى ذلك أهانه له ، فنهض من مقعده وأخذ يقضى وقت الانتظار فى التطلع إلى ما يحيط به .

كانت شقه جميلة ، وفخمة ؛ فى كل ما تضمه ، ففحص السجاد ؛ والستائر وقماش الأرائك والمقاعد ، ورأى نصف درزينة من الصور الزيتية المعلقة وكلها عصرية ، ويبدو أنها الصور الأصلية ،

وأنها ثمينة وتقدم إلى المكتب ، حيث يقوم جهاز الهاتف . فرأى على مقربة منه صورة فوتوغرافية في إطار . إنها صورة امرأة .

وتفرس في الصورة ؛ وكأنه يتذكر تقاطيعها . إنها امرأة شقراء في الثلاثين من عمرها ، وهي جميلة فاتنة ، ولا ينظر من جسم صاحبتها إلا كتفاها . وظل الرجل يتطلع إلى الصورة .

وعندما عاد ميرون ؛ ووجد الرجل في ما أتى به ، أشياء تثير اهتمامه أكثر من الصورة . كان صاحب البيت ، يحمل مغلفا رماديا ، دفعه إليه على الفور . وفتح الرجل المغلف ، وأخرج منه ما فيه من أوراق مالية ، وعدها بسرعة . بطريقة إنسان خبير ، ثم قال :

ـ إن المبلغ بكاملة .

ـ حسنا إذن .. فقد دفعت لك كاملا

ودفع الرجل بالمال إلى جيبه الداخلي وقال :

ـ لا تقلق على تسليم البضاعة . إن ما تريده سيتم . وفي وسعك أن تثق من ذلك كل الثقة .

وخطا نحو الباب ، وميرون يتبعه ؛ ثم أوقفه قائلا .

ـ وهناك نقطة أخرى .

فقال الرجل : وماهى ؟

ـ ما هى الطريقة التى تستخدمها فى التنفيذ عادة ؟

وفكر الرجل برهة ثم قال :

ـ هناك طرق عدة للتنفيذ ؛ ولكن ما دام المعروف عن زوجتك أنها من ربات الثراء ، فمن الخير أن تبدو القضية وكأنها مجرد سرقة ؛ سرقة تقاوم فيها الضحية ؛ فيطلق عليها اللص النار ويقتلها .

وازدرد ميرون ريقه ومسح العرق المتصبب عن جبينه ؛ وقال الرجل :

ـ هل تعجبك هذه الطريقة يا مستر كوستون؟

ـ بالتأكيد طريقة رائعة .

وفتح الباب ودلف الرجل إلى الخارج . وأقفل ميرون الباب خلفه . اتكأ عليه بضع ثوان ، ثم أغلق عينيه . وظل على هذه الحالة حتى هدأت ثورته ، وانتظمت أنفاسه : ونظر إلى ساعته ، فوجد أنها الثامنة والثلث .

وتحرك ميرون بسرعة ، ومضى إلى غرفة ذات باب مزدوج أخرج

منها منضدة ؛ فتحها ، فإذا بها منضدة لعب خضراء ؛ وقد ظهرت فيها الجيوب المخصصة لأقداح الخمر ، " وفيش" اللعب ، ووضع المنضدة وسط الغرفة . ونشر حولها ستة مقاعد . وأعد " البار " المتحرك . فوضع عليه زجاجة من الويسكى الأمريكى ، وقطع الثلج والأقداح ؛ وبعض المعدات الأخرى .

ودقت الساعة الثامنة والنصف . وجلس بعد أن أشعل لفافة من التبغ . أخذ منها أنفاسا طويلة . واستلقى على المقعد مسترخيا فقد شعر براحة عميقة .

وسمع صوت جرس الباب ؛ فأطفأ سيجارته وتطلع إلى ساعته فوجد أنها تشير إلى الثامنة والدقيقة الخامسة والثلاثين ، وذهب إلى الباب يفتحه .

* * *

ومضى الرجل ذو البدلة الرمادية ، فى طريقه لأداء مهمته ؛ إنه يسير وليس على عجلة من أمره ، فى الطريق توقف ليتناول عشائه من نقوده الخاصة ، ثم مضى فى طريقه ، وأخذ يخطو فى الشوارع المؤدية إلى المكان الذى يقصده . وكانت الساعة العاشرة تماما عندما وصل .

وانتظر خارج البناء قريبا . . من الباب ؛ إلى أن رأى امرأة تخرج منه ، وانشغل البواب بالبحث لها عن سيارة أجرة . فدلف إلى البهو . ورأى من حسن حظه ؛ أن المصعد فى الطبقات العليا ، فاتجه إلى السلم ، حتى وصل إلى باب الشقة ٣٠١ دون أن يراه إنسان . وقرع الباب .

وسمع صوت أقدام تقترب على الفور ، ورأى الباب يفتح ، وسمع صوتا نسائيا يقول : ' ميرون . . '

ودفعها إلى الخلف : بقوة وعنف ؛ وقبل أن تتمكن من الصراخ ؛ كان مسدسه فى يده ، يشير به إليها محذرا إياها من الصراخ . وتوفر له آنذاك الوقت الكافى لإغلاق الباب فأقفله .

وآنذاك وقعت المفاجأة الأولى ؛ فقد اندفعت امرأة شقراء هى صاحبة الصورة التى رآها على مكتب ميرون لغرفة الجلوس

من المدخل الخارجى ورأت المسدس فى يده ، فأخمدت صرختها التى كادت تنبعث منها فى حركتها بوضع يدها على فمها .

ووقف الثلاثة على هذا النحو مدة طويلة ، وكانت المرأتان تنظران إلى المسدس وشطر الرجل اهتمامه بينهما ، فأخذ يدرسهما واحدة إثر الأخرى بعناية ودقة وظهرت على وجهه حيرة شديدة .

وتبين أخيرا أنه توصل إلى قرار فقال :

ـ أيكما هى السيدة كوستون ؟

ولم ترد أى من السيدتين فى البداية على السؤال ويبدو أن العامل فى صمتهما هو الخوف ، وربما خمنت إحداهما أو كلتاهما الغرض الحقيقى من المسدس .

وأعاد الرجل السؤال من جديد .

وقد فقد هذه المرة الثقة بنفسه ولعل السيدة كوستون أدركت هذه المرة : ما يعنيه هذا السؤال بالنسبة إليها ، فآثرت الصمت ، ولم يتلق الرجل أى رد عن جديد : غرق فى التفكير بضع ثوان ، ثم قال :

ـ إذن فلندخل . .

وساقهما أمامه من المدخل إلى غرفة الاستقبال وطلب إليهما وهو يهددهما بالمسدس الجلوس فجلستا ، أما هو فقد ظل واقفا يتطلع إليهما .

لاشك فى أن الشقراء هى صاحبة الصورة وهى على الرغم من الخوف المسيطر عليها ، تبدو جميلة رائعة وكانت ترتدى لباسا

أسود بسيطا وقوامها فارع العود رائع الجمال ؛ أما الأخرى فسمراء مع عينين زرقاوين وكان لباسها من لون عينيها وهي ذات قوام رائع أيضا وليس في وسع إنسان أن يفضل إحداهما على الأخرى إنما هي قضية ذوق وتفضيل ليس إلا . .

وقال الرجل :

ـ لاشك في أن إحداكما هي السيدة كوستون؟

وتكلمت السمراء أخيرا ؛ وهي التي فتحت الباب وكان يخيل إليها أنها تفتحه لميرون فقالت :

ـ وماذا تريد ؟

ـ أريد أن أتحدث إلى السيدة كوستون

ولم يشعر الرجل بأي فزع أو خوف . فقد حافظ على هدوئه وطريقته وقال محدثا السمراء .

ـ وإذا كانت هي السيدة كوستون فمن تكونين أنت؟

ـ أنا رجينا مايلز .

ولكن الشقراء هبت على قدميها تصرخ

ولكننى فى ذلك الوقت لم أستطع تذكر أى واحد منها واكتفيت بالاستفهام عن الفتاة وقلت :

ـ والشقراء . هل تظن أنها ستوافق معنا؟

كان فرنكى واثقا من نفسه وقال :

ـ طبعا ستوافق رغم أنى لا أعلم بماذا ستجيب فأنا أعتقد بأن أية فتاة وخصوصا إذا كانت جميلة مثلها فهى لا تعدم طريقة تستخدم بها تلك الدولارات الإضافية التى تهبط عليها من السماء دون تعب أو كد . . على العموم إنى أستطيع إقناعها للدخول معنا .

ـ فى الحقيقة لم أقتنع كل الاقتناع بما سمعت .

وواصل فرانكى حديثه مفتخرا معتزا بفكرته . وبعد قليل سمعت هدير محرك السيارة واستدار بها القائد الذكى متوجها ثانية نحو مطعم الفول المدمس . . وقلت له ونحن فى الطريق :

ـ على كل حال أيها السيد أنا معك حيثما تذهب ؛ ولكن يجب أن أقول لك بأن المشروع هو من تأليفك وتلحينك أنت ؛ أما أنا فليس لى إلا الاستماع فقط . مفهوم؟

فقد عقله وإحساسه وقد لا يعود إليه وعيه حتى الغد .

وأغلق الرجل السماعة بهدوء وتواردت إلى ذهنه الخطة الماكرة التي أبتكرها ميرون لإثبات وجوده ، فلم يكتف بوجود الأصدقاء بل تظاهر أمامهم بالسكر والعجز عن الحركة فكيف عن القيام بجريمة قتل .

وتناول مسدسه من جديد وعاد إلى المرأتين وقد بدا عليهما أنهما أفاقتا من دهشتهما وخوفهما وأخذت الشقراء تتطلع إليه بهدوء وقالت !

ـ هل كنت تهتف لإنسان ليعرفك على أى منا هى السيدة كوستون ؟ .

وعرته الدهشة من صحة تخمينها ؛ ودقة حدسها وقال منفجرا :

ـ وما شأنك في ذلك ؟

ـ إذن فقد هتفت لميرون كوستون ولا شك فى أن ميرون هو الذى بعث بك إلى هنا وقد أتيت تحمل مسدسا . .

وأخذت المرأتان تنظران إلى بعضهما الزوجة والعشيقة وكان الفزع على وجهيهما متساويا تقريبا وإن اختلف فى شكله .

وقالت السمراء للشقراء .

ـ لقد تحدثت إليه بالهاتف هذه الليلة وقلت له إننى سأتولى الموضوع بنفسى وإننى سأتحدث إليك فحذرنى وطلب منى أن أبتعد قائلا أنه سيدير الأمر بنفسه . . وهذا ما كان يعنيه إذن . . هو أن يقتلك . .

واتجه الرجل إليهما وهبت السمراء على قدميها وقالت :

ـ انتظر لحظة واحدة ؛ إننى رجينا مايلز وأنا صديقة ميرون كوستون ؛ ولكننى لم أكن أعرف أنه قد اعتزم هذا العمل . لا يعنينى أن أكون قاسية ولكننى لا أريد أن أرتبط بأية صورة من الصور بجريمة قتل . إن ميرون مجنون . .

وابتسم الرجل وقاطعها بقوله :

ـ إذن فأنت العشيقة . يخيل إلى أن وجودك هنا ليس بالأمر السيء .. وأعتقد أنك لن تتحدثي إلى الشرطة .

وخطت السمراء نحوه فأوقفها بحركة من مسدسه ولكنها قالت :

ـ ألا تفهم ، لا أريدك أن تقتلها ؛ أو على الأقل ؛ وأنا موجودة هنا . . قلت لك إننى لا أريد أن أرتبط بأية صورة من الصور

بجريمة قتل .

ـ إذن ففى وسعك أن تغادرى عندما انتهى .

ـ ولكن على أن أقول شيئا فى الموضوع . .

وتوقفت لأن شيئا من نظرته إليها قد أوقفها عن الاسترسال وقال الرجل :

ـ لقد استؤجرت لأداء مهمة ، وليس فى وسع إنسان أن يمنعنى من تنفيذ المهمة إلا الرجل الذى استأجرنى وليس فى وسعه الآن أن يتحدث فهو ثمل للغاية . .

وكان يتطلع إلى الشقراء الآن وقد أوشك على إطلاق النار عليها عندما هبت من مقعدها فجأة وهى تقول :

ـ أرى أنك قد جعلت من الموضوع قضية شرف وأن عليك تنفيذ ما استؤجرت لأدائه .

فرد الرجل قائلا :

ـ تماما ، هذا هو الصحيح :

ـ إذن فمن الخير أن تتأكد أولا من أنك ستقتل المرأة التى عهد إليك بقتلها .

وتردد لحظة أخرى فهو غير واثق . وقال للشقراء :

ـ أعتقد أنك السيدة كوستون لأننى رأيت صورتك على مكتب المستر كوستون .

ـ ولكن لماذا يضع على مكتبه صورة زوجته التى يريد قتلها ولا يضع صورة المرأة التى يعشقها حقا .

وأضاءت ذهن القاتل فكرة سريعة من الفهم . وقال . . هذا صحيح وهبت السمراء صارخة :

ـ لا .

ولكن الطلقة كانت قد خرجت من المسدس فقضت عليها .

وقام الرجل تحت سمع الشقراء وبصرها بنهب الشقة ، آخذا منها ما خف وزنه وغلا ثمنه قائلا لها أنه لن يحتاج إلى هذه المنهوبات وإنما سيستخدمها كمبرر لإضفاء صفة السرقة على الاعتداء وخرجا معا من المدرج الخلفى ثم افترقا عند المدخل .

* * *

وتطلعت إلى صورتها على مكتبه وابتسمت له وقالت .

ـ إننى أعرف يا ميرون أن ليس باستطاعة الزوجة أن تشهد

ضد زوجها . ولذا فلا جدوى من ذهابى إلى قسم الشرطة وإبلاغهم أنك قد استأجرت الرجل وسمحت لهم بالمضى فى تصورهم أنه مجرد لص عادى .

وجلس ميرون كوستون جامدا فى مقعده يتطلع إلى الأرض دون أن يرفع رأسه . لقد أصيب بصدمة عنيفة للغاية وقال متمتما :

ـ لقد أحببتها .

فردت تقول :

ـ أنا أعرف ذلك . . وهذا ما قلته للرجل فالصورة التى رآها على مكتبك يجب أن تكون صورة المرأة التى تحبها حقا وقد صدقنى وبالطبع فأنا أعرف يا ميرون لماذا اخترت ليلة الخميس . إن جميع أصدقائك المقامرين سيكونون معك تلك الليلة وسيشهدون أنك قد أطلعتهم على الصورة لتبرهن على أنك لا زلت تحبنى وأنك بالطبع لا تتمنى لى الموت .

ـ حسنا يا ميرون سأتركك ولدى شعورى بأنك ستعيش لوحدتك منذ الآن . .

ومضت إلى الباب ففتحته ثم توقفت لحظة واحدة . . أخيرة فى

الباب ، وقالت :

ـ لقد كان علم النفس إلى جانبى أيضا . . فإذا كانت هناك شقراء وسمراء ؛ فلن يصدق إنسان أن الزوجة هى الشقراء!! .

ذات العيون الزرقاء

ذات العيون الزرقاء

ابتدأ كل شيء عندما قرر فرنكي إدخالنا في عالم الاقتصاد والادخار وذلك دون أن أستطيع الاعتراض أو الرفض . لقد وصلنا إلى المدينة وفي محفظتنا المشتركة، ٦٢دولارا فقط : الأمر الذى لم يسمح لنا بترك العنان لشهواتنا ، وبما أن قرار فرنكي يستوجب إعادة النظر أيضا في حقل المصاريف الغذائية . هنا ، في هذا المجال : لم أتمكن من السكوت وحاولت الاعتراض ككل فتى تتفجر الحياة فيه ويضج الدم في شرايينه طالبا كمية مناسبة من المحروقات ، واكتفى فرانكي ، أمام اعتراضي : بأن هز رأسه بعنف وهو يقول :

ـ اصمت يا فتى . . لا يمكن أن يكون الأمر إلا كما قلت لك . صحيح أن هذا المطعم مضياف للغاية ومأكولاته شهية لذيذة غير أنه يكلفنا يوميا عشرة دولارات . ويجب ألا ننسى أبدا بأننا قبل كل شيء نحتاج إلى غرفة نأوى إليها ثم عندنا السيارة وما تتطلبه من مصاريف لتبقى بحالة جيدة .

إذا كانت كلمة سيارة تعني تلك العربة الطويلة الضخمة

اللماعة التى لا يسمع أى صوت لمحركها وتنساب على الطريق انسياب الأفعى الصامت السريع ، إن هذا أيها الصديق هو بعيد كل البعد عن حالة سيارتنا ، أما إذا كنت أعنى بكلمة سيارة تلك " الكركوعة " وما تحمله من معانى فى عالم العم فورد فيكون هذا هو الواقع .

على كل حال كانت " مبروكتنا " هذه تعيننا على التنقل من مكان إلى مكان ونحن نجلس فوق أربع عجلات يديرها محرك كأنه محرك طائرة نفاثة من صوته . كما وأنها تعيننا على الهرب بطريقة لا بأس بها ـ وهذا المهم فى الأمر ـ من رجال البوليس الفضوليين أو الظنانين وذلك كما حدث معنا فى الولاية المجاورة . هذا من جهه . أما من جهه ثانية ، ورغم حبات المنوم التى كنت آخذها أغلب الأحيان ، كان الأرق قليلا ما يفارقنى وأنا أتمدد على خشب المقاعد فى الحدائق العامة . لذلك كان استئجار غرفة شرعية أمر محتوم لا مفر منه ؛ ولذلك أيضا اضطررت للسكوت والخضوع لأوامر فرنكى السيئة ولكن بقى هناك أمر واحد لم أستطع إغفاله وقلت لفرنكى منبها :

ـ معك حق . قد نستطيع الوصول إلى ما نبغى إذا نفذنا مخططك

هذا . ولكن لا يجب أن تنسى أنت أيضا " البخاشيش" التى توزعها على اليمين واليسار لأولئك الحسناوات ؛ إن كل " بخشيش" من " بخاشيشك" يكفينا لعلفة كاملة .

سمع ملاحظتى هذه وتقبلها دون أن يرف له رمش وقال بكل هدوء وتصميم :

- هس . . إنك لا تعرف شيئا فى الحياة بعد . يضطر الإنسان فى بعض المرات أن يكون كريما وذلك لمأرب فى نفسه .

ولم أفهم ماذا يقصد ولذلك مسحتها فى جلدى غير أنى كنت أثق به واعتقدت أن الحق معه ؛ ثم قلت له :

- ليكن لك ما تريد ولكن الآن أصبحت معدتى تتكلم وتطالب بإلحاح بحصتها من المحروقات فماذا ستقدم لى كوليمة هذا المساء ؟

- ليس من ولائم فى هذه الظروف ، إنما أعرف مكانا أسعاره معقولة ؛ هناك فى الشارع رقم ٣٠ .

وعرفت ماذا يعنى ؛ مطعم الفوال همبورغر ، وعادت الابتسامة إلى شفتى وقلت .

- غداء مغذ للغاية وخصوصا مع البصل والنعناع وقال بلهجة

حازمة .

- يجب يا رونى أن تشد مفصلات معدتك وتنتظر ليمن علينا القدر بحال أفضل ؛ فهمت ؟

وكان هذا " الحال الأفضل " هو المعضلة الكبرى . فمنذ وصولنا إلى هذه المدينة ونحن نعصر أدمغتنا ونفكر الساعات الطوال لنتوصل إلى فكرة ما ؛ ولم نفلح . كنا كمن يفتش عن جذوة نار فى الماء . .

وهنا يجب ألا أنتظر أكثر لأقول بأن فرنكى وأنا لم نكن صديقى طفولة بالمعنى الصحيح للكلمة ؛ إنما نرتبط بمعاهدة صداقة وتعاون منذ أمد بعيد . ولم تزدهر صداقتنا وتصل إلى أوجها إلا عندما فاجأته فى إحدى عملياته ، وذلك فى واحة من تلك الواحات حيث تفوح رائحة طيبة تلطف الجو بشميمها

العذب ، كان يمارس مهنته باستعمال آلة تزوير العملة، ولم أتمالك ؛ بعد أن خرجنا من أظهار إعجابى وإكبارى لفنه ومهارته . ومنذ ذلك الوقت وجهنا اهتمامنا إلى هذا النوع من النشاط وبقينا كذلك حتى أخذت دائرة الشرطة تهتم بنا وتراقبنا .

وفى اللحظة المناسبة وقبل أن يفتضح أمرنا ؛ قررنا الابتعاد

والتستر بطريقة ماكرة خيفة أن نفقد مورد رزقنا نهائيا ونقع تحت وطأة الفاقة والعوز . ولذلك وطدنا العزم على البحث عن ميدان آخر لكسب العيش يكون أقل خطرا وأكثر ربحا . وهكذا كان .

وقلت لرفيقي ونحن نتوجه نحو السيارة :

- اتفقنا ؛ ولكن يجب ألا تقول هناك بأننا لا نملك مكانا ثابتا للسكن .

ويجب الاعتراف هنا بأن هذا المطعم كان على جانب لا بأس به من النظافة واللياقة بحديقته الجميلة ومائه البارد وأشجاره الظليلة وفوق كل هذا بمضيفاته الحسناوات .

ما أن دخلنا فى سيارتنا إلى الموقف الخاص للمطعم حتى سمعنا إحدى المضيفات تتكلم بلهجة قاسية موجهة كلامها إلى أحد الأشخاص فى سيارة " سبور " .

- . . ولست مستعدة أبدا لقطع المسافات على الطرقات مع أفراد من نوعك !

كان الشخص فتى رياضيا ؛ عريض الوجه محمره . وأراد أن يرد على الفتاة بكلام من العيار نفسه غير أنه سكت وانطلق بسيارته

بعنف وقوة نحو الوراء ثم خرج من الموقف وذهب في سبيله ؛ ولمع الغضب في عيني الفتاة الخضراوين وتابعت تقول بصوت مرتفع :

ـ هه ، يظن الواحد منهم بأنه ما أن يدفع دولارا أو دولارين كبقشيش لإحدى الفتيات يظن حينئذ أنه أمتلكها و. .

ولكنها سكتت ولم تكمل بعد أن لاحظت وجودنا بالقرب منها . ثم ألقت علينا نظرتها وأتبعتها بابتسامة مصطنعة تعرف كيف ترسلها ، حين تشاء ، وقالت موجهه الكلام لنا :

ـ أرجو المعذرة . . بماذا أستطيع خدمتكما ؟

لم يكن نظر فرنكى طبعا على الأرض طبعا طبعا أو فى السحاب . أما أنا فشعرت بدمى يضج فى شراييني ، إنى منذ القديم أعبد العيون الزرق والقد الممشوق .

غير أن لهجة الفتاة لم تكن مشجعة للبدء بالكلام الحلو المعسول واكتفى فرنكى بأن أجابها فقط :

ـ اثنين فول طبعا مع البصل والنعناع والزيتون . .

ـ شكرا .

وبعد أن سجلت الطلب على دفترها استدارت وذهبت نحو

المطبخ . ومن الخلف أيضا كانت حلوة جذابة . وأرسل فرنكى تنهيده وهو يقول :

- فعلا كان ذلك الفتى معذورا .

وهززت رأسي وأجبت .

- صحيح ، الحق معك . ولكن ملكة جمال أمريكا وفى ظروف كهذه لا تهتز حتى ولا لغارى غرانت أفهمت ؟

وهمهم فرنكى وهو يقول :

- قد يجوز أن تكون على صواب هذا إذا لم تكن مخطئا .

وفهمت أنه يود تجربة حظه ، وقلت فى نفسى : لابد له من أن يحطم أنفه بضربة حذاء . . وعادت الفتاة مع الطلب والابتسامة الاصطناعية على شفتيها وسألت :

- هل تريدان شيئا آخر ؟

ابتدأ فرنكى حديثه قائلا وبلهجة ناعمة :

- إنك تعلمين . .

واختفت الابتسامة الاصطناعية عن شفتيها وقالت بجفاف :

ـ وإذا لم يكن لك من طلب آخر ، فالحساب هو دولار و٤٠ سنتا.

وأجابها فرنكى :

ـ أرجوك أيتها العزيزة . .

ـ قلت لك يبلغ الحساب دولار و٤٠ ما عدا " الخدمة " .

وحاول فرنكى من جديد :

ـ لقد خفت أن أزعجك .

وظهرت الابتسامة ثانية غير أنها كانت من رؤوس شفتيها ، ولمعت عيناها ببريق حاد . وقلت في نفسى ها هى العاصفة على وشك الهبوب وقالت :

ـ أرجوك أيها السيد . . لقد سمعت الكثير من هذا الكلام وعافت نفسى كل هذه المداعبات من هذا النوع .

وتراجع فرنكى وهو يقول والابتسامة الساخرة ترتسم على وجهه " إنى لا أشك فى ذلك " ثم أعطاها الحساب وزاد لها العشرة بالمئة المطلوبة وذهبت الفتاة . ولم تمض دقائق قليلة حتى كانت الوليمة قد التهمت وكنا من جديد فى سيارتنا نتوجه نحو المدينة .

فى الطريق ، حاولت أن أخفف بعض الشىء عن فرنكى .

فقلت له :

ـ بسيطة . . لست أول ذكر يحصل له هذا من أنثى . . خفف عنك وتقبلها منى على حالها .

وقال وهو يبتسم :

ـ لم تترك الملعونة أى مجال .

ثم رأيته وقف بالسيارة فجأة منتحيا بها إلى جانب الطريق ووجه نظره نحو الأفق وهو يهمهم من بين أسنانه :

ـ من الممكن جدا . إنه معقول ، معقول .

وبما أنى لم أكن أفهم كثيرا فى الحزازير سألته قائلا :

ـ المعذرة يا أخ لم أفهم عليك أبدا .

وبعد أن نظر إلى قليلا نظرة تحمس قال :

ـ إن هذه اللعبة الجميلة التي لا تمس الأرض برجليها وهى تسير هذه هى التى تلزمنا . وأيضا لم أفهم عليه وقلت :

ـ ماذا تقصد ؟

ـ انظر . لقد رأيت بعينيك ماذا جرى لذلك الفتى فكم تظن أنه

يمر أمامها مثله ؟

- على أقل تقدير يوجد كل يوم واحد مثله يحاول تجربة حظه معها .

وبدا عليه أنه أغفل المداعبة وقال :

- يوجد على أقل تقدير اثنان أو ثلاثة فى الأسبوع مثل هذا الفتى وهم يرمون بدولاراتهم بكل سرور أمام حسناء مثلها .

كان لهذا التلميح المغر عن الدولارات أثره الجميل على ولكننى لم أستطيع حتى الآن فهم ما يقصده بوضوح . . وقلت له :

- إذا كنت تقول . . نعم رأيت جيدا ما جرى مع ذلك الفتى الرياضى .

- لم تنجح العملية لأن " الفرخة " لم تكن تثق بالديك : فهمت ؟ وكذلك هى غير مستعدة لتثق بديك غيره إلا ...

وهنا بدأ الحماس فى عينى فرنكى وهو يشرح لى مخططه وتابع :

- تخيل الآن تلك الفتاة وهى تعرف أن لها شلة من الأصدقاء مستعدة للتدخل فى الوقت المناسب وهم يختفون فى مكان ما يقرب الحفلة أظن أنها عند ذلك لا تمانع أبدا أنها لا تتأخر لتقتنع .

يجب أن أعترف هنا بأنى فى حياتى المدرسية لم أتميز أبدا بسرعة الخاطر وحده . ولكن رغم هذا ابتدأت الآن أرى بعض البصيص من الفكرة وقلت :

- بعض الأصدقاء ؟ نحن مثلا؟

- عافاك . .

- ونقف مختبئين وراء حائط مثلا ؟

- أو وراء بعض الأشجار لا فرق .

وبدا لى المخطط بكل وضوح ولكنى لم أستطع إخفاء بعض التحفظ وقلت له :

- ولكن رغم هذا لسنا موهوبين للقتال وجها لوجه وبالقبضات فقط .

- ضربة خفيفة من الخلف على الرأس تكون كافية وهى فى متناول أى كان مهما كان ركيكا . . ثم نأخذه إلى مكان بعيد منفرد نهجم عليه على غفلة منه ونأخذ منه محفظته ونختفى وهذا كل شىء فى القضية .

وتورد خدا فرنكى وهو يتخيل العملية ثم تابع : على كل حال

لا يستطيع ابن الملوح أن يشكك بالفتاة وإنى أراهن بأنه لا يهرع إلى البوليس خوفا من افتضاح أمره .

وهذا ما يسمح لنا بإعادة الكرة إلى ما لا نهاية ورغم أن تلك الشقراء ستنال حصتها فيبقى لنا الكثير من الأرباح . ما رأيك بدماغى؟

لم يكن هذا النوع من الارتزاق يدخل فى نطاق اختصاصنا .

وقلت له :

- إنى أستنتج مما تقول أنه بينما يكون روميو ملتهيا بمفاتن جولييت في ذلك الوقت يكون غير قادر على المقاومة ؟

- طبعا وخصوصا عندما يشاهد المسدس فى يدى مصوبا نحوه .

- المسدس ؟

- نعم سأذهب لشراء واحد من تلك اللعب التى تستخدم فى تمثيل الروايات . . وفى الليل لا يستطيع صاحبنا تميزه .كما وأنك لا يجب أن تنسى تأثير المفاجأة عليه . كل هذا يساعدنا للقيام بعملنا براحة كلية .

على كل حال كان أمامى كثير من الاعتراضات أقدمها له

ولكنى فى ذلك الوقت لم أستطع تذكر أى واحد منها واكتفيت بالاستفهام عن الفتاة وقلت :

ـ والشقراء . هل تظن أنها ستوافق معنا؟

كان فرنكى واثقا من نفسه وقال :

ـ طبعا ستوافق رغم أنى لا أعلم بماذا ستجيب فأنا أعتقد بأن أية فتاة وخصوصا إذا كانت جميلة مثلها فهى لا تعدم طريقة تستخدم بها تلك الدولارات الإضافية التى تهبط عليها من السماء دون تعب أو كد . . على العموم إنى أستطيع إقناعها للدخول معنا .

ـ فى الحقيقة لم أقتنع كل الاقتناع بما سمعت .

وواصل فرانكى حديثه مفتخرا معتزا بفكرته . وبعد قليل سمعت هدير محرك السيارة واستدار بها القائد الذكى متوجها ثانية نحو مطعم الفول المدمس . . وقلت له ونحن فى الطريق :

ـ على كل حال أيها السيد أنا معك حيثما تذهب ؛ ولكن يجب أن أقول لك بأن المشروع هو من تأليفك وتلحينك أنت ؛ أما أنا فليس لى إلا الاستماع فقط . مفهوم؟

ـ نعم مفهوم .

اقتربنا الآن من المطعم ودخلنا إلى موقفه الخاص . وكانت الفتاة الشقراء غير موجودة هناك . ووجدنا فتاة أخرى غيرها حمراء الشعر ، نحيفة القوام على قدر كاف من الجمال غير أنها لم تكن كالأولى تملك مقدرة إثارة الدم في الشرايين ، وتقدمت نحونا وحيتنا بلطف ثم سألتنا ماذا نريد . ابتسم لها فرنكى وقال لها : مررنا من هنا منذ نصف ساعة . ولكنه صمت ولم يكمل . لقد ظهرت الشقراء أمام الباب وأشار نحوها فرنكى وتابع . لقد أضافتنا تلك الفتاة عندما كنا هنا وأرسلت لنا محدثتنا ابتسامة خفيفة وقالت وهى تذهب :

ـ هذا طبيعى جدا .

ثم اقتربت من الشقراء وهمست لها بعض الكلمات :

ظننت : لفترة ما . بأن الفتاة ستخلع حذاءها لتستقبلنا استقبالا رائعا . . كان وجهها جامدا وهى تعض على شفتها السفلى . غير أنها غيرت رأيها واقتربت نحونا وقالت لفرنكى :

ـ يجب أن أكون صريحة أيها السيد . اعرف أنك جميل لكن هذا لا يكفى . .

ودون أن يفقد فرانكي برودة أعصابه قاطعها وهو يقول :

ـ إذا ارتكبت خطأ ما فأرجو المعذرة يا آنسة . عدنا هنا لنعرض عليك أحد المشاريع .

وظل عدم الثقة يسيطر على نظرات العينين الزرقاوين وقالت :

ـ لقد سمعت الكثير مثل هذا الكلام .

ـ إني أشك في ذلك أبدا . إنما هذه المرة ثقي بأن القضية تتعلق حقا ببعض المشاريع . أظن أنك لو حصلت على بعض المبالغ الإضافية فانك تتقبلينها بكل سرور .

وأجابته بضحكة ساخرة خالية من كل تشجيع وقالت :

ـ أنا لست بحاجة أبدا للمال . وإذا كنت أقوم بهذه المهنة فذلك للتسلية فقط ومن باب الاختيار .

وغير فرنكي لهجته وهو يقول :

ـ وما رأيك إذا غيرت هذه المهنة بأحسن منها ؟ كأن تجمعين مبلغا من المال مثلا . ثم تذهبين إلى هوليود ، وهناك قد تستلمين سلم الشهرة ؛ وترتقينه بخطى واسعة ؟ ألا تحبين هذا النوع من الاختيار ؟

وأخذ منظر الخصام ينجلي عن وجهها وعينها شيئا فشيئا تاركا المكان لمنظر آخر وقالت :

ـ ولكن أيها السيد ؛ لكي أصل إلى هناك يجب أن أحظى بمساعدة ضخمة لا تتيسر لي بهذه السهولة .

وأجابها فرنكي وهو يهز بكتفيه :

ـ صحيح؟

وبقيت تنظر إليه مدة ثم حولت نظرها فجأة نحوى كنت في ظروف غير هذا افتخرت كل الفخر بإثارة اهتمام فتاة مثلها . قد يجوز أنها تطلب كفالتي . وقلت لها : يتعلق الأمر فقط كوني على ثقة .

وبعد أن تغلبت على كل تردد التفتت نحو فرنكي وقالت : إذن أنا مستعدة لأسمع لك .

وهز فرنكي برأسه بعد أن نظر إلى ساعته وقال :

ـ ليس هنا . في أي وقت تنتهين من عملك؟

ـ عند منتصف الليل .

ـ هل نأتي لنوصلك إلى بيتك؟

- اتفقنا ؛ سأدبر الأمر مع رفيقتى .

- ما اسمك؟

- لورى .. لورى هاستنكز .

- اتفقنا إذا يا لورى . . سنعود إلى هنا عند منتصف الليل وفى الطريق نخبرك بقصتنا كاملة . كونى على ثقة بأنه لن تمضى عليك علية بضعة أسابيع حتى تكونى قد حققت آمالك .

وعدنا إلى لورى فى الوقت المحدد وشرح لها فرنكى كل مخططه نقطة بنقطة وبالتفصيل . ثم قال أخيرا :

- إذن ليس عليك أنت سوى التظاهر بالخوف والهلع . فيأتى رووى ويخرج الشخص من السيارة بواسطة المسدس المزيف بينما أنا أهتم بالمحفظة . ولكن يجب أن أنبهك إلى أمر مهم وهو أن فتيان المدارس والطلاب جميعا لا يرجى منهم آية فائدة كلهم خاليو الوفاض إذن يجب أن توجهى اهتمامك لتلك الشخصيات البارزة وخصوصا الذين يزينون يدهم اليسرى بخاتم الزواج فهؤلاء يخافون الفضيحة ولا يهرعون إلى البوليس مفهوم !

لم تكن لورى قد اقتنعت بعد كل الاقتناع وقالت :

- ولكن ألا توجد مخاطرة كثيرة فى هذه الأمور!

- ولا أية مخاطرة أبدا . فالشخص لا يجرؤ على الشكوى بل بالعكس يعمل كل جهده لستر أمره خوفا من العار ، كما وأنه لا يأتى مرة ثانية إلى هذا المطعم حتى لا تقع عيناك عليه ولهذا نستطيع إعادة الكرة مرات عديدة دون أن نخاف من افتضاح أمرنا .

- ولكن ماذا يحصل فيما لو جرح أحد !

- لا تخافى من هذه الناحية أبدا . ضربة خفيفة تكون كافية على كل حال بعد أن نأخذ المحفظة ، لا نتأخر إطلاقا بل نذهب ونختفى بينما أنت تبقين معه حتى يسترد رشده وتعاونيه فى بعض أمور وهكذا تنتهى المسرحية دون أن تثيرى شكوكه وظنونه .

وصمتت لورى وأخذت تفكر . أخذت تحلل العملية وتقلبها على جميع جوانبها . إنها على كل حال كانت عملية مسلية ؛ بحد ذاتها ؛ ثم قالت :

- اتفقنا . ولكن ما هى حصتى !

وصعق فرنكى تحت المفاجأة وقال :

ـ هه !

ـ أقول لك ماهى حصتى . يعنى كيف سنقتسم الغنيمة .

وارتسمت على شفتى فرنكى ابتسامة مبهمة وقال :

ـ طبعا مثالثة . ثلث لكل واحد منا .

ولم تكن ابتسامة الفتاة مبهمة أبدا عندما قالت له بحزم :

ـ أوه كلا . كلا . كلا . أنت ورووى النصف والنصف الثانى لى أنا .

وقفز فرنكى وقال :

ـ انتظرى . انتظرى . دقيقة واحدة .

ولم يظهر على لورى أنها مهتمة للأمر لا من بعيد ولا من قريب .

فبعد أن أعطت موافقتها على الشراكة ها هى الآن تضع شروطها بكل وعى ومعرفة ـ نصف لكما ونصف لى ـ هذا هو شرطها النهائى القاطع . قالته بكل هدوء وتصميم .

وحاول فرنكى الاعتراض ولكن بدون طائل إذ لم يكن له

الخيار وهو يعرف ذلك . فالفتاة كانت جميلة ولكن ليست بلهاء .

وهنا يجب الاعتراف بأن معدتي ضايقتني كثيرا ، كثيرا في ذلك المساء عندما نفذتا مسرحيتنا لأول مرة . فرغم وجود المسدس البلاستيكي الذي اشتراه فرنكي ؛ ورغم اختيار المكان المناسب الذي اختارته لوري وبعده عن أية مفاجأة غير منتظرة ، رغم كل شيء شعرت بعدم الارتياح وبعراك عنيف في مصاريني . كانت المرة الأولى في حياتنا نلجأ فيها إلى أعمال العنف .

ولكن يظهر أني كنت على خطأ في تخوفاتي هذه . فقد مرت الأشياء بسهولة تامة .

ألقت لوري شباكها على الطريدة رقم ١ وكان ممثلا تجاريا لإحدى شركات التلفزيون . وتركنا : فرنكي وأنا ، غرفتنا قبل عشرين دقيقة من الوقت المحدد للموعد وذهبنا بسيارتنا إلى جوار المكان حيث أخفيناها في مكان ما هناك وانسللنا إلى أقرب للمكان المحدد وأخذنا ننتظر . . ولم تمض دقائق قليلة حتى جاءت لوري مع الزبون . كان بدينا ؛ يحمل كرشه أمامه ، ولم نعطه إلا الوقت الكافي لأن يطفيء محرك سيارته ويطفيء المصابيح وقمنا بهجومنا ، قلت له وأنا أشرع المسدس بيدي :

- اخرج أيها العزيز . . اخرج .

وارتجف الرجل قليلا وبدت لورى بجانبه كأنها تموت من الرعب وقال :

- ما هذا ؟

- هذا مسدس كما ترى .. هيا اخرج دون كلام وإلا .

- لن أخرج ؟

- الظاهر أنك لا تفهم لغتنا سأكلمك بالصينية إذن ، بلغة العم ماوتسى تونج .

وناولته ضربة خفيفة وراء أذنه انهدم المسكين على أثرها ودخل فى عالم الأحلام . .

ولم تمض لحظة حتى كانت المحفظة بيد فرنكى ، وبعد أن وضعها فى جيبه قال للورى : كما اتفقنا هه ! ابقى بجانبه .

وهكذا كان . كانت الغنيمة ٥٠٠ دولار نقدا وعدا . ومرت الأمور كما توقعنا . فبعد أن عاد الرجل إلى رشده بمعاونة لورى طلب منها راجيا ألا تذكر شيئا أمام أحد حتى أمام البوليس وأعاد لورى إلى بيتها وترك المنطقة بأسرع وقت ممكن .

تتابعت العمليات وتتابعت الأرباح بفضل حنكة لورى وحسن اختيارها للزباش . وما أن مضى أسبوعان فقط حتى كنا قد جمعنا ١٥٠٠ دولار حصة الواحد منا من ٧ روميو وكلهم بنفس الحالة مستعدين لعمل أى شيء إلا أن يفتضح أمرهم . كانوا يرهبون هذه الناحية أشد الرهب .

بعد العملية الثامنة قال فرنكى معتزا فخورا :

ـ ما رأيك بعبقريتى ؟ على كل حال يجب ألا تتوغل أكثر فى هذه المنطقة . تقوم بعملية واحدة هنا فقط ثم نرحل إلى آخر ، ونبدأ هناك من جديد .

وتقبلت فكرته بكل ارتياح وخصوصا لأننى كنت أبيت فكرتى أنا الخاصة أيضا . كنت أهيىء رحيلا على طريقتى أنا . يجب أن يكون اثنان فى الرحلة القادمة وليس ثلاثة . فلورى الحلوة الشهية يجب أن تكون لى أنا . . أنا وحدى وستون سنة على الصحبة فكما قلت سابقا لم يكن فرنكى بالصديق الحميم لى إنما كل ما فى الأمر كنا شريكين فى العمل ليس إلا . ربما أن الأرباح كانت تتكدس يوما بعد يوم قلت فى نفسى بأن الوقت قد حان للرحيل إلى مكان آخر .

ولم يطل الوقت حتى فاتحت لورى بفكرتي واستمعت الفتاة إلى مشروعي بحدقتين واسعتين . إنها لم تكن تنتظر أن تسمع مني هذا الكلام . غير أنها أبدت اهتمامها وقالت .

- يعني تريد أن تخون فرنكي ؟

واستعملت براعتي هنا وقلت :

- ليس في الأمر خيانة . أنا أعمل لمصلحتي نحن الاثنين .

ولم تحول نظرها على بل بالعكس نظرت إلى عيني وقالت :

- صحيح أن فرنكي هو فتى ماهر لبق ولكن أنت أيضا يا رووى فتى جدير بحب فتاة مثلي .

وتحققت من انتصاري بيني وبين نفسي وقلت : إذن هيا واستعدى

- متى ؟

- عندما تحين الفرصة . كوني على استعداد .

- اتفقنا .

وقلت وأنا مطمئن لها .

ـ فى العملية القادمة ؛ جربى أن يكون الزبون صاحب سيارة فخمة سريعة ، وسأقوم بالعملية أنا وأنت لوحدنا دون علم من فرنكى .

ـ وكيف ذلك .

ـ لا تخافى لقد اعتدنا أن نرتاح قليلا فى غرفتنا قبل الذهاب إلى الموعد ؛ ومع فنجان ؛ سأتدبر أمرى وأضع له حبة منومة ، وينقضى الأمر . فهمت؟

ـ نعم فهمت . .

ولم تمض ثلاثة أيام حتى ظهر الزبون الجديد . كان ممثلا لإحدى شركات التأمين . وكان يمتطى إحدى تلك السراع الطوال تلمع تحت الشمس وتبهر الأنظار . ونفذت خطتى بخصوص فرنكى وقامت حبة المنوم بدورها معه . ولم تمض ثلاث دقائق حتى راح الرفيق فى ثبات عميق يشخر كالعاصفة . وقمت إلى الوسادة وأخذت كل ما فيها من دولارات ؛ حتى وحصته والفرو وعدة العمل وتوجهت نحو الغابة . .

وفى الوقت المحدد وصلت لورى مع الزبون ، وما أن رأيته حتى قلت فى نفسى بأنه يختلف عن البقية ؛ ولكننى كنت قد اعتدت

على عملى وأصبح عندى ثقة كبيرة بمهارتى . وأخذت المسدس بيدى اليسرى بينما يدى اليمنى أمسكت بسير من الجلد وقفزت من مخبئ قائلا :

ـ اخرج أيها النذل .

ورأيته يخرج بدون إسراع بل بتمهل . وكنت فعلا واثقا من نفسى وقلت له ارفع يديك وراء ظهرك . قلت له هذا لأتمكن من ضربه بسهولة وأنفذ أمرى ، غير أنه بدلا من أن يدير ظهره ويقف ، استدار على نفسه دورة كاملة ولقمنى بيمناه ضربة على سحنتى أخذت الدنيا بعدها تدور مسرعة حولى وأنا أهبط على الأرض على قفاى . ورأيت أفكارى تدور وتبرم بسرعة المحرك وسمعت الرجل يقول لى . قف مكانك ، إنى رجل بوليس .

ـ هه ؟ بوليس؟ وأخذت أحاول تجميع أفكارى ووقفت أخيرا أمام الحقيقة .

كان أحد ضحايانا قد تخطى جبنا وقبل بالفضيحة وبكل شىء وذهب إلى البوليس وروى قصته .

وقام البوليس بدوره بتأليف مسرحية مقابلة .

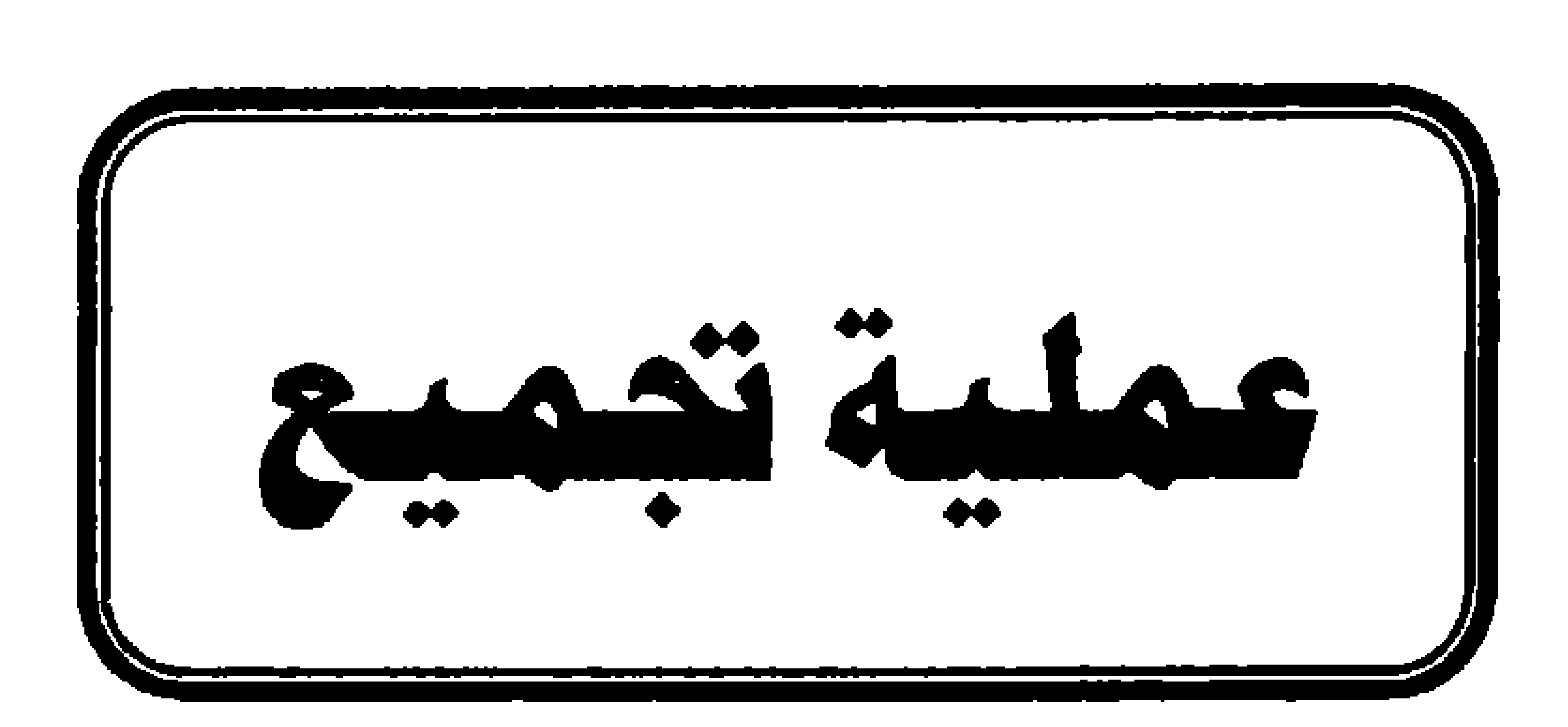
كان الشرطي ينوء بثقله علي ويحمل في يده شيئا قاتما وينهرني للوقوف عندما تقدمت لوري وبيدها حجر يزن كيلو تقريبا وسددته إلى رأس البوليس .

ترنح الرجل قليلا تحت تأثير الضربة غير أنه لم يفقد رشده تماما عند ذلك هجمت لوري ثانية وابتدأت المعركة ثانية وابتدأت المعركة مرة تكون فوقنا ومرة تكون تحتنا وهكذا لمدة عدة ثوان تقريبا ثم رأيتها تقفز وتهرع إلى السيارة وبأقل من لمح البصر كانت تنطلق بها بأقصى سرعتها .

بعد دقيقة واحدة عاد البوليس إلى وعيه تماما ووجدنا نفسينا أنا والبوليس مكبلين إلى بعضنا البعض' بالكلبشات' . .

ذهبت لوري ومعها الدولارات . ذهبت لتنشئ لها مستقبلا . .

أما أنا فذهبت مع البوليس .


عملية تجميع

عملية تجميع

حصلت على درجة جامعية فى " ترينتى" واكتفيت . كما اكتفيت من " دوبلن" . . وهى مدينة جميلة ؛ مدينة كاملة بكل معنى الكلمة . غير أنها لا تصلح إلا لسكنى فئة معينة من الناس فالفنان يستطيع أن يحبها والكاهن يباركها وكذلك الموظف يقدر أن يعيش فيها كما يعيش فى أى مكان آخر ، أما أنا فكنت قليل الأيمان ، قليل المواهب ؛ شديد الرغبة فى حياة المجتمعات مما لا يتفق مع فنان أو كاهن أو كاتب صغير ، كنت أستطيع أن أكون معربدا مثلا ؛ فدوبلن هى المكان المثالى لذلك ؛ غير أنه لم يكن عندى الاستعداد اللازم من هذه الناحية كما لم يكن باستطاعتى أن أكون مساوما ؛ نوع من الأمثولات التى تعلمتها فى تربيتى بين ما تعلمت من علوم أخرى . (اسرد قصتك ووضح صوتك وارحل) هكذا كان يقول جوزيف كاميرون بان .

كان لى بعض الأقارب فى بوسطن فقصدتهم ، غير أنهم استقبلونى بتحفظ ووجهونى نحو نيويورك حيث لجأت إلى مكتب

صغير للدعاية والإعلان . كان ذلك المكتب يميل نحو المؤلفين الأجانب كان بحاجة لواحد يتقن الإنجليزية جيدا . ولم يلزمني سوى أربعة أشهر فقط حتى تعلمت مهنتي الجديدة وتعرفت على المدينة . كانت مهنة لا بأس بها لابن نيويورك . أما بالنسبة لقادم جديد مثلي فكانت لا تفي بالمتطلبات .

وفي ذات يوم وقعت على إعلان يطلب فيه صاحبه أحد الشبان ليكون مرافقا له . وكاتبت ذلك العنوان كما كاتبت غيره أيضا . وما أن استلمت الجواب وعرفت اسمه حتى وافقت فورا ؛ إذ إنني كنت أعيش مع مؤلفاته منذ مدة طويلة . كنت أحب طريقة كتابته منذ أن كنت صغيرا يافعا في " انبيس" لا أفهم إلا ما تقع عليه يدي وما زلت أحبه عندما أصبحت في ترينتي وعندما صار بإمكاني العثور على كتاب أكثر شهرة ، لقد كتبت عددا كبيرا من الكتب خلال سنوات عديدة وكانت كل حوادثها تجري في تلك المدينة الصغيرة الأمريكية . غير أنه منذ عشر سنوات توقف عن الكتابة دون أن يقول سبب ذلك وعندما نظرت إلى توقيعي في أسفل الرسالة شعرت أنني كنت أظنه متوفيا منذ أمد بعيد دون أن أعرف سببا ما لشعوري ذاك .

وبعد أن تبادلت الرسائل معه ذهبت إليه لأقابله . ذهبت بواسطة القطار وكنت أرى المناظر تتغير أمامى إلى أن وصلت إلى المنطقة التى كان يذكرها فى كتبه . وتركت المحطة سائرا على قدمي وأنا أحمل حقائبى لأنى كنت آمل أن يستبقيني عنده . وفتحت لى خادمته الباب ودخلت وأنا أشعر أنى رأيت تلك الغرفة وذاك البيت فى أحد أحلامي .

وقادتني المرأة إليه ، ولأول وهلة بدا لى مسنا أكثر مما كنت أظن غير أنى ما لبثت أن رأيت عكس ذلك . فى الحقيقة كان يبدوا مسنا لأنه كان على فراش الموت .

وسألنى :

ـ أنت ريوردان؟ كيف جئت ؟

ـ بالقطار .

ـ هل ' بات ' هو الذى قادك إلى هنا ؟

وارتبكت قليلا قبل أن يقول لى بأن ' بات ' هذا هو سائق التاكسى فى المدينة . واعترفت له أننى قطعت المسافة على قدمي ..

ـ أوه كان يجب أن تأخذ تاكسى .

ـ أحب المشي .

فغمغم قليلا ثم عرض على كأسا من المرطبات فرفضت . وشرب وحده وتابع :

ـ لماذا تريد تضيع وقتك بالنظر إلى رجل يموت ؟ أنا واثق من أنه لديك فضولا ، هل تريد أن أعلمك كيف تستطيع أن تصبح كاتبا ؟

ـ كلا يا سيدى .

ـ إذن جئت تكتب تاريخ حياتي ؟ إنى لا أثير الاهتمام وأصبحت انتمى إلى جيل مضى ، والمجنون فقط من يحب قراءتي في هذه الأيام .

ـ كلا إنى لا أعرف الكتابة .

ـ في هذه الحالة : لماذا أنت هنا أيها الولد .

طرح على هذا السؤال بلهجة معقولة . وفكرت قليلا قبل أن أجيب :

ـ إنك تجدها جيدة ؟ تجدها تستحق القراءة ؟ تقدر أن تقول أنها تنتمى إلى الأدب ؟

ـ إني أحبها فقط .

ـ أي منها تحب ؟

ـ سؤال لم أطرحه على نفسي أبدا .

وانطلق في ضحكة مرحة . لقد استحسن الجواب . ووظفني عنده .

في الواقع كان عملي قليلا جدا لكنني لا أقدر أن أسميه عملا . فمن وقت إلى آخر كنت أساعد مدام دتبوللر في رفع شيء لا تستطيع رفعه وحدها أو إتمام عمل لا تقدر عليه بمفردها . وفي بعض الأحيان كنت أذهب إلى المدينة أو أرد على بعض الرسائل . وعندما يشتد البرد يطلب مني أن أشعل المدفأة في الصالون . وإذا كان يريد الذهاب إلى مكان آخذه في السيارة . غير أن هذا الأمر أصبح يخف شيئا فشيئا فكلما مر الزمان كلما كان الألم يزداد عليه .

وهكذا ، ما عدا بعض الأشغال المتفرقة : كنت رفيقه الدائم . كنت أسمع إليه يتحدث ؛ وأحدثه ؛ عندما كان يريد ذلك . وأصمت عندما كان يفضل الصمت .

لقد قال لى طبيبه ذات يوم بأنه سيأتينى وقت أجد فيه الكثير من العمل إذا لم يوافق السيد " بان " على استخدام ممرضة . وكنت أعلم أنه لا يقبل ذلك أبدا كما أنه لم يشأ الموت إلا فى بيته . وقد هيأت نفسى لأعطيه حقن المورفين لأنه عاجلا أم آجلا ستصبح الأدوية التى يستعملها عديمة النفع أو غير كافية لحالته . كما أنه سيأتى يوم يحصر نفسه أولا ضمن البيت ثم ضمن الغرفة وأخيرا فى السرير استعدادا للنهاية .

وقال لى الطبيب :

ـ وقد تضطر لمراقبة ماذا يشرب . . لقد شرب كثيرا .

وحاولت مرة منعه من الشراب غير أنى لم أعدها قط . قلت له كلمات بلهاء ، كأن يكف عن الشرب مثلا أو أن يضع قليلا من الماء . فصحته لا تتحمل ؛ وأشياء كهذه لم أعد أذكرها جيدا ، وأجابنى .

ـ إنى لم أوظفك حارسا على يا تيم ما كان يجب عليك أن تتصرف هكذا إنها فكرة هارولد كيتون . أليس كذلك ؟

ـ نعم .

- إنه طبيب بارع . ولكنه طبيب فقط وليس وزيرا . فهو يعرف أنه يجب عليه أن يقول لمرضاه بأن يكفوا عن التدخين والشراب وهذا ما يفعل أما أنا يا تيم فليس هناك أى سبب لأمتنع عن الشراب . فالألم ليس فى كبدى ولا فى كلوتى . إنما كل ما بى أنى مصاب بداء عضال لا مفر منه فالموت خاتمته الحتمية إذن سأموت إن شربت أو لم أشرب . وفى نيتى أن أفكر وأشعر وأعمل ما يحلو لى ثم أذهب أخيرا والابتسامة على شفتى .

لذلك أحب أن أستمتع أكثر ما أستطيع رغم أنى أريد الغياب عن الوعى . ولكن لا أحب أن أمنع نفسى من شىء تشتهيه . هل فهمت ؟

- نعم يا سيد " بان " .

- إذن اذهب وهات الشطرنج .

وربحت مرة واحدة فقط !!

* * *

فى صبيحة اليوم الذى تلا اكتشاف جثة راشيل فرى فى الحمام نزلت لأتناول طعام الإفطار معه . إنه لم ينم تلك الليلة وقد كان

ذلك ظاهرا فى عينيه وفى زاوية فمه ، وقال لى :

ـ سنذهب إلى المدينة اليوم .

ـ لقد انهمر الثلج أثناء الليل .

وأنت تعب جدا الآن . فإذا أصابك البرد ، وهذا ما سيقع حتما ، فإنك ستضطر للبقاء فى السرير مدة طويلة . وستؤثر فيك هذه المشقة . ولكن لماذا تريد الذهاب إلى المدينة يا سيدى ؟

ـ لأسمع ما يقوله الناس .

ماذا تعنى بذلك ؟

ـ أريد أن أقول يا تيم بأن زوج راشيل هو الذى قتلها . ولم يكن يجدر براشيل أبدا أن تتزوج دين أفرى . إنه رجل ذو نفسية تشبه الآلة الحاسبة بينما راشيل لم تكن سوى موسيقي وشعر . لقد أتى بها إلى بيته وأراد أن يكون سيدها . غير أنها لم تكن من ذلك النوع ولم تستطيع أن تكون لينه له أو لغيره . . بل كانت كالعصفور تريد التحليق بحرية من فنن إلى فنن والزقزقة والتغريد . ولذلك قتلها .

أريد أن أعرف كيف تم ذلك لأقرر ماذا يجب أن أفعل . تستطيع

أنـت أن تـذهب إلى المدينـة بـدونى . وسـتلاحظ الأشـياء جيـدا وستشعر بتعميق ؛ أكثر مما كنت أنتظر ، كما لو أنك تعرف أولئك القوم منذ مدة طويلة .

ـ كنت تصفهم جيدا فى كتبك .

وأعجبته هذه الملاحظة وقال :

ـ علـى كـل حـال يجـب أن تعلـم شـيئا حتـى لـو اضطررت إلى التطفل من الضرورى أن تكون لدى بعض الدلائل لأرتب بنفسـى . صحيح أنى أعرف الكثير غير أنه ما زال غير كاف .

وقبل أن أتركه سألته كيف يمكن أن يكون متأكدا من كل ذلك؟ فقال :

ـ إنـى أعـرف المدينـة والنـاس فيهـا وأعـرف راشيل ودان أفـرى كمـا أعـرف والـدة راشـيل جيـدا وكـذلك عائلـة دان . ولهـذا كنـت مقتنعـا كـل الاقتنـاع بعـدم صـلاحية زواجهمـا وبـأن ذلـك سـحر الرجال عليها ، إنى موقن كل اليقين بأنها مقتولة وهو الذى قتلها . هل نستطيع أن تفهم هذا ؟

ـ أظن ذلك .

وذهبت إلى المدينة واشتريت بعض المحلات ثم قصصت شعرى عند الحلاق ، دون أن أكون بحاجة لذلك . وأضعت بعض الوقت ؛ ثم عدت إلى المنزل لأقول لبان ماذا سمعت وعرفت :

ـ لقد شرحت الجثة هذا الصباح وقيل إن الوفاة حصلت نتيجة الاختناق بعد عملية تكهرب : وهذا ما ظهر حتى الآن . وسيجرى الدفن غدا .

ـ أكمل يا تيم . .

ـ كان دان أفرى موجودا فى مارمونى طول نهار أمس عندما وجدوه أخيرا وأعلموه بالحادث . ووقع الخبر عليه ـ كما يبدو ـ كالصاعقة . لقد ذهب إلى هارمونى فول أول أمس بالسيارة وقضى الليل هناك .

ـ هل ظل دائما مع أحد ؟

ـ لم أعرف .

ـ لم يحققوا فى ذلك فلا لزوم لهذا عندما يكون الحادث جليا بهذه الطريقة . لقد قلت إن الدفن سيكون غدا ، إذن ستحضره أنت .

ـ ولماذا ؟

ـ لأنى لا أستطيع الحضور أنا شخصيا .

ـ وهل يجب أن ألاحظ أفرى والآخرين . وأن أسجل بعض النقاط .

وأرسل ضحكة ملء شدقيه ثم توقف فجأة ؛ وقال :

ـ لا أظن أنك ستحتاج لذلك . إنى لا أقول لك كى تذهب مكانى لتلاحظ وتتعقب فقط يا تيم وإن كان الأمر يتطلب شيئا من هذا . ولكننى أحببت إرسالك إلى هناك لشعورى بوجوب حضور المأتم . لذلك ستمثلنى أنت .

ولم يكن لدى ما أجيب على هذا . وطلب منى إشعال المدفأة . وسمعت عندئذ صوت بائع الجرائد وذهبت إليه . لم تكن أية صحيفة تظهر فى تلك المدينة وكان " بان " يأخذ دوما صحيفة المدينة المجاورة . لذلك لم نر فيها ذكرا عن راشيل وأفرى .

كان " بان " من عادته أن يطالع تلك الصحيفة بكل انتباه ورأيته يتصفحها كما لو أنه يفتش فيها عن شيء ما .

وبعد أن وضعها إلى جانبه قلت له :

ـ لم أكن أظن أنك تعرفها مثل هذه المعرفة .

ـ كنت أعرفها جيدا يا تيم كما أنى لم أكن أعرفها جيدا . هناك أشياء لم أستطع فهمها . وهناك أشخاص ما أن أكلمهم حتى أشعر أنى أعرفهم بدقة وتعمق إذ يوجد عدة وجوه للمعرفة .

ـ إنك فى الواقع لم تكف أبدا عن الكتابة عن بفريدج (هذا هو الاسم الذى كان يعطيه للمدينة) . ولكنك توقفت فقط عن تسطيره علي الورقة .

ورفع رأسه فجأة وهو يفكر فى الأمر وقال :

ـ فعلا إنك تقول الحقيقة .

وتناول طعامه بشهية ظاهرة ، وأخذ يتكلم بعد الطعام دونما هدف وتركته يفعل ذلك ، وبعد مدة سألته :

ـ لماذا يا سيد " بان " تقول إن الأمر لا يمكن أن يكون بمجرد حادث . فجهاز الراديو سقط فى المغطس وأغمى عليها أثر تكهربها وما لبثت فى الماء بعد ذلك .

لقد ظننت أولا أنه لم يسمعنى أو تظاهر بأنه لم يسمع . فهذه صفة خاصة لا يتمتع بها الأشخاص المسئولون أو المرضى وأخيرا

سمعته يقول :

ـ طبعا يجب إيجاد الأدلة والبراهين ، ولكن ماذا تظن . أو ماذا تقول إذا أكدت لك بأن راشيل أفرى لم تكن من ذلك الصنف من البشر الذى يستعمل الراديو فى الحمام .

وأظن أنه قرأ على وجهى ما كنت أفكر فيه .

ثم تابع : حسنا وستجد تلك الأدلة . كان الماء يجرى فى المغطس عندما اكتشفت الجثة إذن فقد كان يجرى أيضا قبل وبعد أن سقط الراديو فيه وهذا يعنى أن الراديو كان قد فتح عندما كان الماء ينهمر وهذا من غير المعقول ، فراشيل لا يمكنها أن تسمع شيئا بوضوح حينئذ .

إذن فراشيل ما كانت لتفتح الراديو أثناء حمامها . . إنى متأكد من ' ذلك ' ، فهى لم تكن لتفكر بفتحه والماء يخرج . كما وأنها تفتحه طالما أن الحمام لم يكن جاهزا بعد . . ألم يتضح الأمر الآن ؟

* * *

ودفنت المرأة بعد ظهر يوم أغبر بارد . كان الجميع فى البيت أكثر بكثير مما كان عليه فى المقبرة . وكان يقيم الاحتفال قسيس

لا كاهن . لذلك كانت المراسم غريبة على .

كنت فى ذلك المأتم : مبعوث جوزيف كاميرون بان . ورأيت جثة راشيل الصغيرة وكنت أظن أن جميع التوابيت يجب أن تكون مقفلة . إذ يجب ألا نجبر على مشاهدة جثث لموتى . وتمتمت ببعض كلمات التعزية لدان أفرى وأنا أتحاشى النظر إليه فى عينيه ثم ذهبت وجلست على المقعد من الخشب بينما كان القسيس يتكلم عن المآسى المخيفة والعدل الإلهى ورحمته وشعرت أننى امتلأت بالخشوع وذهبت إلى المقبرة مع أحد الأشخاص فى سيارته . كنت أقف أمام القبر والريح الباردة تلسع وجهى وتجمد أفكارى لذلك استسلمت للحزن والانقباض وأنا أنظر إلى دان أفرى .

كان طويلا : عريض المنكبين والجبهة : ممشط الرأس إلى الوراء . دون أى فرق يتجمع فوق رأسه كالثلج . وراقبت عينيه عندما كان يظن أن لا أحد هناك يراقبه وحركة شفتيه والطريقة التى يسير بها وماذا كان يضع بيديه .

وبعد فترة قصيرة لاحظت أنه لم يكن يبكى زوجته ولذلك قلت فى نفسى إن الحق مع الرجل العجوز . إن دان أفرى قتل راشيل وتأكدت من ذلك تأكدى من لفح الريح الباردة التى تلسع وجهى .

ولكى لا أعود إلى بيته ذهبت بعد إنهاء المراسم فورا وقطعت المئة خطوة سيرا على الأقدام . واقتربت من القبر ووجدته قد ردم وقلت فى نفسى : ماذا يكون شعور أولئك الذين يقومون بهذا العمل؟

وتركت القبر وذهبت مشيا عبر المدينة حتى وصلت إلى بيت دان .

وجدته فى المطبخ وبيده فنجان قهوة . وبعد أن جلست رويت له باختصار كيف تمت الجنازة وكيف كان الدفن غير أنه ألح على لأخبره بجميع التفاصيل دون أن أترك شيئا حتى يشعر كما لو كان حاضرا بشخصه بالذات . وبعد هنيهة صمت ذهبنا إلى الصالون . فأشعلت المدفأة وجلسنا حولها . وهنا قال لى :

ـ الآن أصبحت تعرف .

ورفعت كتفى وأنا أقول : هذا صحيح . لقد رأيت بنفسى وشعرت وفهمت .

وقال :

ـ المعرفة هى المهم فى الأمر . فالآلات الحاسبة لا يمكن لها أبدا

أن تحل محل البشر . فهى تحتاج لأشياء عملية . لتعليمات . أو ماذا أقول ؟ إنها تحتاج لمعطيات لكى يتوصل البشر بعض الأحيان للتعامل بدونها . أليس كذلك؟

ـ نعم .

ـ إذن إننا نعرف .

وبعد أن تناول جرعة من فنجانه ووضعه أمامه تابع :

ـ ولكن الآن أصبح يلزمنا نقطة انطلاق . فالنتيجة أولا ثم البرهان والدليل .

كنت أسأله بنظراتى وتابع : لأن كل شىء يدور حول هذا . فهذا الرجل قد قتل ويبدو أنه تخلص من عمله وهذا يجب ألا يحصل .

ـ ألا يجب أن نخبر البوليس؟

ـ طبعا لا . ليس لدينا شىء نقوله له . وقد لا يسمع لنا .

وبعد أن أغمض جفنيه لحظة فتحهما وعاد يقول : إننا نعلم ماذا وضع ولكن يجب علينا أن نعرف كيف ، ولماذا . . قل لى يا تيم من هم الرجال الذين كانوا فى الجنازة ؟ أعطنى ما استطعت من

الأسماء .

ـ لم أعد أتذكر بالضبط جميع الذين كانوا فى الكنيسة إذ لم أنتبه إليهم بصفة خاصة .

ـ إذن أعطنى أسماء الذين كانوا فى المقبرة وهذا الأهم .

وأخذت أتذكر المشهد من جديد وسردت له بعض الأشخاص الذين أعرف أسماءهم . وكان يصغى إلى باهتمام كلى . وقال لى :

ـ هناك آخرون لا تعرف أسماءهم أو أنك لم تعد تتذكرها، اسمع قل لى إذا كان واحد من هؤلاء الذين سأذكرهم الآن موجودا وقتها.

وذكر خمسة أسماء . وجاء دورى لأن أنتبه . كان اثنان من هذه الأسماء مجهولين لى . أما الثالث فتذكرته . والاثنان الآخران لم يكونا فى المقبرة .

وهنا قال لى بان :

ـ خذ قلما وورقة واكتب هذه الأسماء : روبرت هاروستى ؛ هال كاسبر ؛ روى نيل ؛ نورمان غويدين ؛ هذا يكفى الآن .

إن الاثنين الأولين فقط كانا فى المقبرة .

فقلت له :

ـ إنى لا أفهم ماذا تعنى .

ـ كان لراشيل عشيق طبعا ولهذا السبب قتلها أفرى . لم يكن من الواجب على روبرت هاروستى وهل كاسير أن يكونا فى الجنازة أو على الأقل فى المقبرة . فهذان ليسا من عائلة راشيل أو من عائلة أفرى بل كان يجب أن يحضر نورمان غرين وروى فيل . طبعا إن العشيق المجهول لميتة يستطيع أن يتصرف بطريقة لا تكون تنتظرها . فهو قد لا يحضر الدفن وأنت تظن بأنه سيذهب وذلك خوفا من أن يفضح نفسه أو يذهب دون أن يكون وجوده أى واجب الأحبة واحترامه عقيدة ؛ ولمجرد الفضول فقط . عندنا إذن أربعة رجال اثنان وجودهما واجب واثنان ليس من واجبهما أن يحضرا . إن هذا التفكير لا يعطينا أى تأكيد ولا يشكل أى دليل أو برهان . غير أنى أشعر بأن واحد من هؤلاء الأربعة هو عشيق راشيل .

ـ وبعد هذا!

ـ يجب أن تعرف من هو!

ـ ولماذا يجب معر فتة ذلك !

ـ علينا أن نجمع أكثر عدد ممكن من الأشياء غير المهمة حتى نتوصل إلى معرفة المهم .

وبعد أن شرب جرعة أخرى تابع : هل تقرأ الروايات البوليسية . إن العمل فيها يتألف دائما من قطع ونتف متناثرة . تماما كلعبة " البزل" حتى ينتهى أخيرا بالتجمع والمجالسة .

- وإلى ماذا تعمل بعد هذا .

- إلى معرفة كيف ، ولماذا ، ومتى ، .

كنت أريد متابعة طرح الأسئلة غير أن " بان " كان قد تعب وأراد أن ينام ليستريح . وأعنته على صعود السلم وعلى خلع ثيابه ؛ ثم استلقى على السرير .

كنت أعرف هال كاسير قليلا وابتدأت بذكائى فى ذلك المساء . كان صاحب محل قرب الكاراج لبيع التبغ والجرائد والكتب الرخيصة وأشياء أخرى . إنه نحيل الجسم ذو تقاطيع حادة ؛ عينان واسعتان مدورتان وأنف طويل وفم كبير تبدو منه أسنان ضخمة بيضاء . عمره بين ٣٥-٤٠ سنه . وله زوجة — طفلة لم أشاهدها مطلقا . بالاختصار استغرب تماما اختيار هذا الرجل كعشيق . غير أنى كنت أعرف جيدا أن المرأة الزانية لا تعتبر منطق لأشياء .

لقد كان هال كاسير فى جنازة راشيل أفرى وقد فوجىء " بان " قليلا لذلك فكاسير هذا لم تكن له صلة قرابة بأفرى ولا بزوجته ،

ولم يكن من مجتمعهما أيضا وحتى لم تكن بينه وبينهما أية صلة عمل . كما أنه لم يكن يذهب أوتوماتيكيا إلى كل دفن كما يحصل مع الكثيرين من هذا الصنف في المدن وغيرها . إن هؤلاء الأشخاص يذهبون إلى تلك الأمكنة كما لو أنهم يديرون مفتاح جهاز التليفزيون أو يستمعون من وراء الأبواب وذلك لإشباع رغبة لديهم أو لأنهم ليس لديهم أى عمل آخر يقومون به . ولكن هال كاسير لم يكن من هذا النوع .

وحين رآنى قال :

ـ مساء الخير أيها الأيرلندى كيف حال العجوز ؟

وأجبته وأنا أتصفح إحدى المجلات :

ـ إنه نائم .

لقد أحب الزجاجة جدا حتى هذه الأيام الأخيرة .

ـ لا أظن ذلك .

ـ هذا من خصوصياته .

وخرج كاسير من وراء طاولته وتقدم منى وتابع :

ـ لقد رأيتك بعد ظهر اليوم . لم أكن أعرف أنك كنت تعرفها .

أو أنها فقط طريقة لكى تستعلم من أجل الكتاب الذى تؤلفه؟ .

كل الجميع يظنون أنى أؤلف رواية تدور حوادثها فى تلك المدينة ولهذا السبب جئت لأعيش مع السيد بان وحاولت عبثا تكذيب ذلك حتى سكت فى النهاية .

فسألته :

ـ هل تعرفها ؟

ـ طبعا . أنت تعلم جيدا أيها الأيرلندى . بأنى أعرف الجميع الملك فاروق ؛ الأميرة غراس . وأرسل ضحكة قصيرة . نعم أعرف أكثر بكثير مما تظن .

وظننت أنى عملت بعض الأشياء . . ولكن لما كنت أنظر إلى وجهه رأيته يذم فمه العريض ثم انطفأ ذلك النور الذى كان يتراقص فى عينيه واختفت الابتسامة من على شفتيه وتذكر أنها ماتت ، وتجمدت تحت التراب . والمزاح فى ظرف كهذا لم يكن مقبولا . وبدا كأنه خجل قليلا من نفسه وتابع هذه المرة بصوت خفيض قائلا :

كان ذلك منذ زمن بعيد ـ منها سنتين تقريبا ـ قبل أن تتزوج

كانت صبية حسناء متوحشة . ولكن ليس بالمعنى الذى تفهمه . أريد أن أقول . كانت حرة . هل تفهم ما أعنى ؟ أى أنها كانت تفعل ما يحلو لها وكنت هنا . وأصبحت الذى أرادت أن تكون معه . لم تطل تلك المدة ولكنها كانت أياما عذبة طيبة . طريقة حلوة أنا للكلام . أليس كذلك ؟ ومع ذلك يظنون أنها أصبحت شرسة قاسية . أن هذا حمق وجنون .

إذن لم يكن العشيق هال كاسبر . على الأقل ليس فى الأيام الأخيرة وعندما أخبرت " جوزيف كاميرون بان" بما دار بينى وبين هال من حديث هز برأسه عدة مرات قبل أن يجيب :

- إن الدائرة تتسع يا تيم . ألق حجرا فى مياه هادئة وانظر إلى الدوائر تتسع ألم تر راشيل الآن وضوح أكثر ؟ إننا لا نستطيع القول لابنه أنه كان عاطفيا أو حساسا بصفة خاصة . فهو لا هذا ولا ذاك . غير أن موت راشيل ترك فيه شعورا بالإحساس بالخسارة . فالجنازة جنازة أى شخص كان ، لها من هذه البالية قيمة وهدف . فى الماضى كنت أرى فيها عادة بربرية . أما الآن فقد تبدل رأى وأنا أفهم بشكل أحسن الآن . ولابد لهال كاسبر أن يتكلم عنها وأن يشعر بالارتباك والندم على ما قال . هذا ممتع .

ـ ولماذا يجب علينا معرفة كل ذلك ؟

ـ هل أحب تتعب من ذلك؟

ـ قليلا .

وقال لى :

ـ لأنى أهتم بالجنس البشرى غدا ستعرف أكثر أيضا أما الآن فهات الشطرنج .

وبالفعل علمت الكثير فى اليوم التالى أولا، حذفت روى نيل من اللائحة . لم أكن أعرف اسمه غير أنى عندما زرته اقتنعت بأنه حضر الجنازة كما يحضرها كل شخص . وعلمت من الحلاق أنه كان يحب زوجته إذ رأيته هناك يجلس على مقعد وهو يبتسم عندما كان أحد الأشخاص يمزح معه بهذا الخصوص .

ومضت مع معلوماتى الجديدة إذ إننى لو أطلت مكوثى كان على أن أقص شعرى وهذا ما فعلته أول أمس . وأخذت السيارة فى ذلك اليوم لأذهب إلى المدينة . فالنهار كان باردا أكثر من العادة والثلج كان كثيفا وتوقفت فى محطة بنزين تورمان غودين .

كان السيد بان يجعلنى أشترى البنزين عادة من محطة ثانية غير

أني كنت أريد رؤية غودين والتحدث إليه . فلم يبق على اللائحة سوى اسمه واسم روبن هاردستي . فإذا لم يكن أحد هذين الشخصين عشيقا لراشيل فمعنى ذلك أننا نكون قد عدنا إلى الصفر .

كان أحد الطلبة يعمل عند غودين بعد الظهر وفي المساء ، ولكنه لم يكن قد أتى بعد ، لذلك جاء غودين نفسه وملأ لي خزان السيارة . وبينما كان يقوم بذلك اتكأ على سيارتي . كانت لحيته طويلة وناء بثقل جسده الطويل القاسي ثم عاتبني قليلا لأني لا أعبئ البنزين من محطته منذ مدة طويلة ، فأجبته :

ـ إن السيد بان لم يعد يخرج إلا فيما ندر أنا أخرج أغلب الأحيان سيرا على الأقدام عندما يكون الطقس رديئا .

ـ إذن فأنا مسرور لرداءة الطقس .

وبعد أن أشعل سيجارة وسحب منها مجة كبيرة تابع : على كل حال فالعجوز يفضل أن يملأ خزانه من المحطة الثانية . إن خزانك كان أكثر من نصفه فكنت تستطيع المتابعة دون الخوف من أن تنقطع في الطريق .

وألقيت عليه نظرة خالية من أي تعبير ثم حاولت التخلص من

ملاحظته وأنا أقول :

ـ اعذرنى . لم أسمع ما قلته لى لأنى كنت أفكر فى تلك المرأة القتيلة .

وقفزت تقريبا لما لاحظته على وجهه ، لقد تقلص قليلا ؛ وحاول جهده إخفاء شعوره غير أن عينيه خانتاه وكذلك حركات يديه وقال .

ـ إنك تعنى السيدة إفرى ؟

لقد كانت زوجته ابنة عم راشيل ولذلك كان من المفروض عليه أن يحضر الجنازة والآن لا يسميها باسمها الصغير فهذا ما جعلنى أرغب في الهرب وقلت له :

ـ لقد حضرت أنا الدفن .

ـ أنا لم أستطع الحضور كان لدي عمل ضرورى . اسمع كلنا سنموت ، عاجلا أم آجلا ، فتيا وشيبا لا فرق في ذلك أن الحساب هو دولاران و٢٧ سنتا للبنزين .

وبعد أن أخذ المبلغ قال :

ـ إن هذا المصير ينتظر كل إنسان . ولكن لماذا أنت مضطرب؟

في الواقع كنت أشعر برعشة تسرى فى كيانى وهو يكلمنى .

وعندما عدت إلى البيت وأخبرت بان بما رأيت استلقى إلى الوراء على مقعد ورف جفناه قليلا وقال :

ـ إذن فتورمان غودين هو العشيق . إننى أعرف والده جيدا . ولكن يجب على يا تيم أن أقول لك بأنى أعرف كثيرا عن آباء هؤلاء الفتيان وليس لهذا أهمية . أليس كذلك ؟

ـ نعم يا سيدى ؟

ـ ارسم مخططا . وانظر إلى البعيد وفكر جيدا ماذا عرفت عن غودين ؟ ماذا قال لك ؟ اجمع أكثر ما تستطيع من قطع " البازل " يا تيم .

ـ أظن أنه جرب بعض المحاولات أولا وتعجب لاستجابتها لها وفرح بادئ الأمر . غير أنه ما لبث أن ابتدأ يشعر بالخوف . ولكن هذه حماقة ، وإننى أبدو كمن .

ـ إنك تفكر جيدا أيها الولد .

ـ كان يبدو سعيدا بموتها . كلا ليس هذا بالضبط . فهو يبدو مرتاحا مع شعور خفيف بالمسؤولية لارتياحه . . لم يعد الآن ليخاف

. لقد ماتت قضاء وقدرا ولا يوجد أحد لينبش الخفايا . لذلك فباستطاعته اجترار ذكرياته أثناء الليل دون أن يرتعش .

- نعم .

وملأ السيد " بان " رئتيه بالهواء . وهنا قال : نعم . إنى متفق معك .

- ماذا سنصنع الآن ؟

- ما رأيك يا تيم ؟

وأخذت أفكر . إننا نستطيع الاتصال بأحد الأشخاص فى هارمونى فول لنعلم ماذا كان دان أفرى يفعل هناك . أو بما أننا نعرف أكثر من أى شخص آخر عن القضية ؛ لذلك فباستطاعتنا الذهاب إلى البوليس . إننا حتى الآن لا نملك أى دليل أو برهان ولكن البوليس يستطيع اكتشاف ذلك أكثر منا .

كان السيد بان يحدق فى النار . وعندما أخذ يتكلم ظننته أولا يتكلم مع نفسه ولا يتوجه بالحديث إلى مطلقا ، قال : ونضع بذلك اسمها بأحرف كبيرة على جميع صفحات الصحف الأولى ونثير المحامين الواحد ضد الآخر ولننتهى من كل ذلك إلى أحد هذه

الأمور إما لشنقه أو لسجنه أو لتركه حرا . وبهذا نكون قد خربنا بيت تورمان غودين وفي الوقت نفسه أسئنا إلى ذكرى راشيل أفرى .

ـ لست أدرى إذا كنت أفهم جيدا .

والتفت إلى فجأة وبسرعة قال :

ـ كلا ! ماذا يا تيم تيموتي . ألا تفهم ؟

وتردد قليلا وحاول أن يجد جملة ، ثم توقف وأخذ ينظر إلى السقف دون أن يقول شيئا وتابع :

ـ إن كتبي كانت دائما تباع بسرعة ، غير أن الصحافة لم تكن نيتها حسنة معي . أما الصحف الصغيرة أظهرت لي دائما كل ألفة ومودة غير أن صحف النقد الحقيقية كانت تتهمني بالعاطفية . كانت تستعمل من هذه الكلمات : " مفجع " محلي ؛ بعيد عن الطبيعي وأردت مقاطعته غير أنه أسكتني بحركة من يده ، وقال " أرجوك لا تسرع الدفاع عني إني أضع النقاط على الحروف دون البكاء على سنواتي الغابرة التي ذهبت سدا " . هل تعلم السبب الذى من أجله توقفت عن الكتابة ؟ إني لا أذكر أني قلته لأحد فلم يكن ثمة مبرر لذلك لقد توقفت عن الكتابة ليس لما يقوله عني

النقاد من أن مبيع كتبى كان مخيبا . كلا ولكن لأنى اكتشفت أن أولئك النقاد ـ وأشكرهم على كل حال ـ كانوا محقين كل الحق .

ـ كلا ليس هذا صحيحا .

ـ ولكن نعم يا تيم .

ـ إنى لم أكتب أبد شيئا تستطيع أن تسميه رواية يخضبها ماء الورد رغم أن كل شيء فى رواياتى كان ينتهى جيدا وذلك لأنى كنت فقط أريد " ذلك " أن يكون . كنت أريد أن تمر الأحداث كما يجب أن تمر . هل فهمت ذلك ؟ طبعا كنت أخلق أبطالى وكان ذلك سهلا . كنت أجمع مكائدى وأحكمها ناسجا بذلك حبالا قوية منتهية فى آخر الأمر بالوضوح الكلى . فكانت شخصياتى تظهر حقيقية غير أن كتبى كفت عن ذلك . أرأيت ؟ دائما كانت النهاية سعيدة غير أنه لا أثر لأى حقيقة .

ـ ولكن نهاية " كابونونس هاوس " لم تكن سعيدة .

ـ ليس بالضبط . صحيح أنها انتهت بالموت . ولكن الموت ليس دائما منبعا للحزن يجوز لأنك لم تزل فتيا تشعر بهذا الشعور وتفكر أن الموت مخيف مرعب إذن كنت أقول إن كتبى كانت خاطئة . وقد فهمت ذلك . إنك تجد فيها وصفا جيدا لهذه المدينة

ولبعض الأشخاص الذين يعيشون فيها أو فى مخيلتى أو فى الاثنين معا ولكنه أوصاف خاطئة للحياة . حاولت مرة تأليف كتاب . أردته أن يكون لائقا . ماذا يقول سالنجر ؟

ـ آه نعم . ولكن جاء وفيه رائحة الرذيلة حب ورائحة الزبل .

ـ ولم أنهه . لقد أرعبنى هل فهمت الآن ؟ إننى رجل عجوز مجنون أحب أن تمر الأشياء واضحة ، نقية لطيفة مع مصير مفرح ابتسامة عذبة فى النهاية . فلا أريد وجود البوليس ولا المشاكل ولا أشخاصا يغسلون ملابسهم المتسخة . " أظن " أننى تكلمت كثيرا الآن وهذا يكفى .

وأخذ كأسا وأفرغها دفعة واحدة وقال :

ـ اذهب وهات لعبة الشطرنج .

ولبيت الطلب ولعبت وخسرت ، فى الواقع كنت شارد الفكر . وكنت أنتبه إلى قطع لعب غير التى كانت أمامى . وأخذت الصورة تكبر وتتضح لى . فرأيتهم كلهم : راشيل أفرى ، دان أفرى ، وتورمان غودين متمثلين أمامى فى أحجار الشطرنج . البعض منهم أسود والبعض الآخر أبيض مثقلين بالرصاص نمسك بهم أيدينا وتنقلهم على مربعات حزينة . . .

وقال مرة السيد بان .

ـ إنك خائف ؟ لماذا ؟ .

ـ لأنى أتدخل فى أمور لا تعنينى . لست أدرى يا سيد بان ، إنى أشعر ببعض الانقباض وبأن ثمة شيئا ما لا أرتاح إليه .

ولعبنا ثلاثة أدوار . وفجأة قام السيد بان وقال :

ـ إنى لا أحسن التقليد فى صوتى . . كما أنه لا صوت لى أبدا . . فلهجتك الأيرلندية تبدو لى قوية . اصعد إلى الطابق الثانى من فضلك وفى الغرفة التى فى آخر الرواق تجد خزانة صغيرة . اجلب لى منها تلك الآلة الجهنمية . . آلة التسجيل . لقد اشتريتها وأنا أفكر بأنها تساعدنى على الكتابة . غير أن الأمر لم يناسبنى أبدا . فأنا أريد أن أرى الكلمات أمامى تجرى على القرطاس لا أن أجلس كالأبله طيلة ساعات كاملة أتحدث إلى آلة . ولكنى على كل حال تسليت بها . هاتها يا تيم من فضلك .

ووجدت المسجلة حيثما قال لى فى علبة تعلوها الغبار وذهبنا إلى المطبخ حيث يوجد الهاتف . وطلب منى الدليل وجئت به وفتش عن رقم وبعد أن وجده قال : يجب الآن أن أقوم إيصال الآلة بالهاتف .

ـ ولماذا يا سيد بان ؟

ـ سترى . وبعد أن رتب العملية حسبما يريد سمعت هذه الكلمات : الو السيد تايلور ؟ كلا ـ انتظر برهة ـ هل هو رقم ٤٢١٥؟ـ آه إذن مقر أفرى ؟ هل السيدة أفرى موجودة ؟ ـ .. من المتكلم ؟ إذن متى ستعود السيدة أفرى يا سيد أفرى ؟ أوه مثلا . نعم ؛ نعم إنى آسف جدا لذلك ـ ياللمأساة ـ آسف يا سيد أفرى لإزعاجك فى الحقيقة ليس الأمر مهما ـ أنا بول ولتكس من شركة سفريات ولتكس وديول . . نعم . . صح أريد . . طبعا . لقد حجزت زوجتك عندنا محلين إلى بورتريكو . . ـ أوه إنها مفاجأة طبعا ، لن أقول شيئا ، هذا مرعب حقا نعم ـ إنى آسف لإزعاجك .

وقيلت أيضا بعض الكلمات الأخرى من هذا النوع ، ووضع السيد بان السماعة مكانها وخيال ابتسامة مريرة يرتسم على شفتيه ، ثم لمع وميض غريب فى عينيه وقال :

ـ إنه اختراع مرعب لندعه يعتقد أنها تستعد للفرار مع غودين ، ورغم هذا بقى محافظا على برودة أعصابه ، الآن أصبح كل شىء جاهزا على الشريط .

ورفع سماعة الهاتف مرة ثانية وأدار رقما آخر . ' جاى ؟ هنا

كام قل لي ما زالت عندك آلة التسجيل ؟ أريدها قليلا لأن التي لدى خربت ، سأرسل تيم ليأتي بها .

وذهبت إلى جيسون فولك . وبعد أن عدت والآلة معي وضعها قرب التليفون على الطاولة وقال :

ـ إنى لا أحب الفزلكة ولكنها في بعض الأحيان تجد مكانا لها في تسوية الأمور أريد يا تيم أن أبقي لوحدى نصف ساعة فقط ، إني آسف لأبعادك .

الأمر سيان بالنسبة لي بل كنت أفضل الابتعاد عنه قليلا ؛ وقد كان تأثيره علي أكثر مما كنت أحتمل وكنت أشعر بشيء من الانقباض في تلك الليلة ؛ لم تكن نفسيتي الأيرلندية وحدها هي التي تقول لي ذلك إنما جوزيف كاميرون بان كان يساهم في ذلك الإيحاء إلي ؛ لقد رأيته يتطاول على الآلة ؛ كان يتلاعب بالبشر أو بالأحرى يلاعبهم ؛ كان يكتب حياتهم ولكن خارجا عن أي كتاب . .

كان البرد قارصا في ذلك الوقت لأفكر في نزهه سيرا على قدمي . فأخذت السيارة وابتدأت أسير عبر المدينة ؛ ثم خرجت منها واستلمت طريقا ملتوية تصعد نحو التلال المطلة ؛ كان الثلج

سميكا على الأرض ولكنه كان قد توقف عن السقوط . والبدر يلمع في سماء منثورة بالنجوم ، وأوقفت سيارتي ثم نزلت ثم أخذت أنظر إلى المدينة متأملا كنت أنظر إلى " مدينتنا " وندمت لأنني لم أكن أحلم إذ لكان باستطاعتي أن أدفء نفسي بشيء ثم أسير ، وسط الليل ، على قدي أتوقف هنا وأجلس هناك متأملا تلك المناظر .

- لقد تأخرت كثيرا يا تيم .

وقلت لبان :

- ضللت الطريق وقضيت بعض الوقت حتى اهتديت .

- أمازلت مضطربا يا تيم ؟ إني أفهم ذلك : أصغ إلي أنا أريد فقط أن أحرك بعض الأشخاص ، سأسمح لبعض الأفراد أن يكلم شخصا آخر هل فهمت ؟ إن جملهم الافتتاحية لم يخلقوها هم . إنهم لم يبتدأوا بالكلام بعد . فسأقوم أنا عنهم الآن . سأقوم بافتتاح الحديث ثم يأتي الباقي لوحده .

وكان الحق معه طبعا . لا يمكننا أن نترك أفرى يهرب ويديه ملطختين بالجريمة .

ـ اسمع . أني بكل صراحة أقول لك أني فخور بنفسي .

وبعد أن أدار رقما على الهاتف وضع سبابته على أحد أزرار آلة التسجيل وانحنى قليلا على الطاولة مقربا سماعة الهاتف منها . ورد الرقم المطلوب وضغط بان على زر الآلة وسمعت صوت دان أفرى :

ـ ألو ، غودين ؟

صمت قليل ثم :

ـ هنا دان أفرى يتكلم . أعرف كل شيء بينك وبين زوجتي . بينك وبين راشيل إني أعيد . أعرف كل شيء وها هي الآن ماتت إثر حادث ، فكر يا غودين فكر جيدا .

وأقفل بان الهاتف وآلة التسجيل .

ـ كيف رأيت ؟

ونظر إلى وجهي ورأى فمي المفتوح فانفجر ضاحكا وتابع :

ـ ترتيب بسيط مدروس من آلة تسجيل إلى آلة تسجيل أخرى أدير الشريط إلى الأمام ثم إلى الوراء وكلمة من هنا وكلمة من هناك ثم جمعت الكل معا ونسجته . وقد قلت لك إني تلهيت بغيابك بهذه الآلات .

وهنا سألته :

ـ والآن ؟

ـ الآن ؟ إن غودين يتصل بأفرى .

ـ وكيف عرفت ؟

ـ أوه ! يا تيم .. سأتصل بغودين وسأقول له إن سيارتي فارغة من البنزين أو أى شيء مثل هذا ؛ وسأصنع بصوته كما صنعت بصوت أفرى . ثم أتصل بأفرى نفسه وأتهمه بقتل راشيل . وهذا كل شيء ، أظن أن أفرى سيندم وإذا جمعت القدر الكافي من الكلمات فباستطاعتي التوصل إلى إجبار غودين على فضح مخطط الجريمة بكل وضوح وكيف حدثت .

وأخذت أصابعه تنقر على الطاولة ، وتابع : يجوز أن يقتل أفرى نفسه ؛ هكذا يكون موقف القاتل في تلك الروايات البلجيكية ؛ كان يطلب الغفران عن خطيئته ثم يطلق رصاصة على دماغه .

في الواقع كان قد تعب جدا وأخذت قواه تخور ، غير أن الحماس الذى دب فيه كان يعطيه القوة للمتابعة ، فأنا ما كنت أحب أن ألعب دور المربية ، لذلك تركته يفعل ما يحلوا له ويشرب

ما طاب له ، كنت أتركه يموت كما يشتهي ، وقلت له :

الاتصال الهاتفي سيرعب غودين الآن وربما يكون قد أقفل المحطة . .

ـ سأجرب ، وبالفعل حاول الاتصال به ولم يرد عليه أحد ؛ وأصعدته إلى غرفته وساعدته على خلع ملابسه ونام ، وذهبت أنا ونمت ؛ وكان نومي مضطربا . .

عندما استيقظت في الصباح الثاني نزلت لتناول الفطور وكان بان مازال نائما ، وفتحت جهاز الراديو لأسمع الأخبار، كانت محطة المدينة المجاورة ، مدينة هارموني فول ، وما أن وصل المذيع إلى نصف النشرة الإخبارية حتى توقف قليلا ليستلم خبرا جديدا ، كان الخبر يتصل بمدينتنا ؛ وأصغيت بانتباه . .

ـ يا إلهي . .

وأسرعت إلى السيارة وذهبت إلى المدينة ، وفي كل مكان كنت أسمع نفس الحديث ونفس القصة ؛ وعدت إلى البيت .

كان بان قد استيقظ ووجدته مازال بثياب النوم جالسا أمام الطاولة والتليفون بيده وآلة التسجيل إلى جانبه ، إنني أحاول

الاتصال بغودين منذ مدة ولم يجبنى أحد . .

ـ وهو كذلك .

أريد أن أتصل به فى بيته ؛ فقلت له :

ـ لا فائدة من ذلك :

ـ لماذا؟ وبعد أن نظر إلى وجهى اصفر وجهه أيضا وتابع : يا إلهى . ماذا يا تيم ؟ أخبرنى .

عندما كنت عائدا إلى البيت وأنا أسير على الثلج والهواء الجليدى يلسعنى كنت أفكر فى الطريقة التى سأخبئه فيها . وما كنت لأوفق . وفكرت فى ما لو أن العناية الإلهية تميته قبل أن أصل إليه أنها أشياء لا تقع إلا فى الروايات لا فى الحياة الحقيقية .

وقلت له :

ـ لقد مات دان أفرى هذه الليلة .

ـ يا إلهى : ورأيت وجهه قد أصبح كالشمع واتسعت حدقة عينيه بطريقة مرعبة وتابع : وكيف ؟ هل أنتحر ؟

ـ كلا .

ـ كيف إذن ؟

ـ كان يريد أن يظهر ذلك مظهر الانتحار . لقد قتلته نورمان غودين . ذهب إليه في منتصف الليل بقصد ضربه لكمة " ماك أوت"

وهكذا كان أن غودين الآن في السجن . . ولكن يا إلهي . . لقد مر كل شيء كما كنت تفكر فيه . قلت لدان بعد صمت قصير :

لا أظن أنه سمع كلماتي الأخيرة .

وأخذ يتكلم وحده ويتكلم أشياء لم أفهمها . ثم بعد لحظة صمت التفت إلي وقال :

ـ إني كاتب فاشل ورجل رديء . كنت أظن أني خلقتهم . إنهم من نسيج خيالي ولكنهم كانوا حقيقة واقعة .

وصعدت إلى غرفتي وحزمت أمتعتي وتوجهت سيرا على قدمي نحو المحطة . لم يكن يجدر بي أن أتركه على تلك الحالة وقد كانت هذه قساوة مني ولكني . لم أستطع المكوث أكثر . على كل حال إنه في طريق الموت . بقائي لا يفيد في شيء كما أخذت أشعر

بتأثيره القوى على وبالانقباض يلازمنى ولهذا فضلت الرحيل وأخذت أول قطار ترك المحطة .

وها أنا الآن فى لوس أنجلوس أعمل عند رجل آخر يحب استخدام الغرباء ، وأقوم بنفس العمل الذى كنت أقوم به فى نيويورك .

ـ علمت فى الشهر الماضى أن بان قد مات ، وفكرت أننى قد أستطيع البكاء عليه غير أنه لم يحصل ذلك . وحاولت منذ أسبوع قراءة أحد ولاحظت أننى لم أحبها . وحينئذ بكيت .

بكيت على راشيل أفرى وعلى جوزيف كاميرون بان وعلى نفسى .

ومضة أمل

ومضة أمل

لقد كانوا يستعدون توا للذهاب للفراش عندما قالت الأم وهى غير مكترثة موجهه الحديث لابنتها :

" لقد وجدت مستأجرا " كما وجدت لك وظيفة فى إحدى شركات الدخان "

فقد كانوا غالبا لا يتحدثون كثيرا فالأم حادة الطباع عابسة الوجه ، أما الفتاة فكانت تأتى متأخرة كل ليلة متعبة من عملها ، مسممة بغبار الطباق ؛ حيث إنها تعبئ الطباق ١٠ساعات يوميا .

فقد أجر ساكن جديد الحجرة المقابلة من نفس الشقة ، فى منزلهم الصغير وعندما ذهبت الفتاة فى اليوم التالى . افتخرت لصديقاتها بأنهم وجدوا مستأجرا . . فسألناها متعجبات :

" أوه . . مستأجرا . .هل هو شاب ؟؟" .

"ألقى بشباكك عليه إذ كان كذلك فإنه يستطيع أن يعطيك وقتا سعيدا . . وستعرفين ذلك تماما . . " .

ولكن الفتاة لم تكن تعرف بعد بامتلاك مثل هذه الأوقات السعيدة بالرغم من أنها بلغت السابعة عشرة من عمرها .

ولكن غرابة كلمات (الحب) التى سمعتها من حديث زميلاتها الصريح فى فترة الغداء، وفى فترة يوم العطلة ؛ جعلتها تشعر بوقاحة ومجون الرجال وهم يحدقون إليها أثناء سيرها .

كل هذا أشعرها فى سذاجة بقلق ؛ تتحرك فى روحها محاولا جر جسدها المتعب إلى التفكير والتخيل ولكن هذا ما كان يحدث نادرا . وفي شركة الدخان . كانت أمها تقول لها دائما . . " ابحثى عن عمل فى أى مكان " .

وفى الأيام الأخيرة كانت صديقاتها فى الشركة يلاحقنها بالأسئلة أكثر مما تتحمل عن المستأجر الجديد وفى أحد الأيام سألت أمها :

" أين المستأجر؟إننى لم أره . . " فقالت لها :

" إنه يأتى متأخرا فى الليل . . بعد منتصفة تقريبا، لأنه يشتغل بالليل وينام بالنهار " . ثم سألتها الفتاة ثانية :

" وماذا يشتغل ؟ فقالت لها إنه موسيقى " . .

وترددت الفتاة ثم سألت أمها وقد احمر وجهها خجلا .

" هل هو شاب ؟ " وقالت أمها :

" شاب أو عجوز فإنه نفس الشيء . دعيه يدفع لنا أجر الحجرة"
ثم أضافت أمها قائلة بعد فترة من التفكير :

" نعم إنه شاب " .

وفي نفس الوقت واليوم قبل أن تستيقظ الفتاة على الصوت الذي يحدث في الدهليز الضيق التي بين الحجرتين . كان باب حجرته مفتوحا قليلا حيث كان ضوء الدهليز مضيئا . وقامت الأم لكي تفتح الباب الرئيسي للشقة فإن المستأجر قد عاد وسمعت الفتاة بوضوح صوت مليء بالرجولة يقول :

" مساء الخير يا سيدتي . إنني أخشى أن أكون قد أزعجتكم "

وحين إذن رجعت الأم إلى غرفتها وعاد الهدوء إلى كل شيء في المنزل مرة أخرى وكان ذلك بعد منتصف الليل بكثير .

وأنصتت الفتاة للصوت وازدادت رغبتها في أن تسمع هذا الصوت وبدأت تستيقظ كل ليلة في مثل الوقت الذي يرجع فيه لتنتظره قبل أن يطرق الباب وفي كل ليلة يزداد قلقها . ويرن في

آذانها هذا الصوت الرجالى القوى مثل اللحن الجميل ولكنها خائفة من أمها وخجولة من أن تظهر عليه .

لقد أملت فى أن تراه أيام الآحاد ولكنه لم يأت للمنزل فى مثل هذه الأيام . .

وفى أحد الأيام ـ وكان فى العيد حيث لا يحضر المستأجر للمنزل ـ كان يغمرها الحزن . ويترك فى روحها البسيط فراغا كما لو أنها فقدت شيئا وتحرم من صوته .

ولكن ما شكله؟ ذلك الموسيقى !!

لقد رأت الفتاة بعض الموسيقيين ولكنهم كانوا غجرا ورأت أيضا بعض الجنود . ولكن كان هذا يعد محاولة فاشلة من التخيل لشكل المستأجر وسألت أمها فى أحد الأيام :

" هل هو جندى" ؟ فأجابتها قائلة :

" إنه ليس جنديا " .

ولكنه يلعب على الفاليوم فى مطعم كبير حيث يفد إلى هناك الأغنياء . . وهكذا زحف الحب إلى قلبها الصغير .

ووجدت الفتاة نفسها تخطوا خطا سريعة فى حياتها الجديدة .

وفكرت قائلة :

" يجب أن أراه . . " .

وهل يعلم بأننى هنا أعيش معه تحت سقف واحد؟

" بالتأكيد إن أمى لم تخبره بأى شىء عنى " .

وقررت الفتاة أن تريه نفسها . وفى كل يوم من الأسبوع كانت تقبض أجرها من المصنع .

وفى هذا السبت خبأت الفتاة مبلغا من أجرها ولفت الباقى فى منديلها كالعادة لتأخذه لأمها . . لقد أظلمت الدنيا ولكن الفتاة تسير فى مدينة أوكلاهايو، بخطوات سريعة ، إنها تعرف أن امرأة غجرية تسير فى هذا الشارع ، وتبيع الزهور للمارة . وكان الخريف قد حل ولم يعد هناك زهور فى حدائق المنازل ولكن الفتاة عرفت أن بائعة الزهور تحضر كل مساء في هذا المكان واشترت منها باقة من الزهور . . وعادت مسرعة وهى تتسلل إلى الدهليز دون أن يراها أحد ثم خبأت الزهور في صندوق خشبى خلف البيت بعد أن وضعته في صفيحة مليئة بالماء .

لقد قررت الفتاة أن تضع الزهور سرا فوق المائدة وتنتظره

وتفتح له الباب عندما يطرقه ليلا . وسألتها أمها بعنف :

" لماذا تأخرت هذه الليلة ؟ " فأجابتها :

كنت أنتظر لأقبض أجرى ثم سلمتها المنديل المحتوى على مرتبها وانتظرت الفتاة ما سيحدث .

فسألتها الأم وهى ترفع رأسها .

ـ أين الباقى . .؟

فأجابت الفتاة :

" لقد فقدتهم " . وقالت الأم :

إنك ستفقدين عملك ، أتفقدينها فى هذا الوقت إنه لوقت حرج حقا ، إننا فى حوجة إليها . . لأن الساكن قد غادر الغرفة فى هذا الصباح .

فسألت الفتاة بعصبية :

ـ ذهب ؟

ولكن بعد لحظات شعرت الفتاة وكأن دماءها تتجمع بشدة فى قلبها الصغير . . الجريح .

فأعادت الأم مكررة :

نعم ذهب وعلينا الآن أن نبحث عن مستأجر آخر . .

ثم سألتها الأم :

ـ ماذا بك ؟

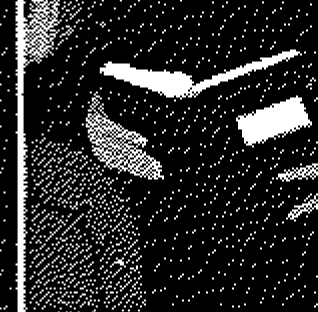
فقالت الفتاة متمتمة فى وضوح . . " لا شىء" .

وبعد فترة عندما قامت الأم وشعرت الفتاة بأنها وحيدة فى فراشها بدأت عيناها تدمع ثم ما لبثت أن فاقت من حلمها .

لارى بلوك



ALFRED HITCHCOCK



أكثر
الروايات
مبيعا
في العالم

العالمية للكتب والنشر